التحرير
سياسية اخبارية جامعة
إعلام هادف يلتزم بقضايا الأمة
ISSN 2382-2643

سكيزوفرينيا «السياسيين» في تونس، وكذبة الصراع الأيديولوجي مع تركيا وقطر

في العيد العالمي للمتاجرة بالعمال

التحرير — الاحد 10 رمضان 1441هـ الموافق لـ 3 ماي 2020 م العدد 290 الثمن 700م — التحرير

لا إصلاح لفساد الأنظمة الوضعية إلا بإسقاطها

مناعة القطيع خيار ثقافي أم إجراء علمي في مواجهة كورونا؟

حفتر يدّعي تفويض الشعب الليبي له ويعلن إسقاط اتفاق الصخيرات

جواب سؤال: أزمة النفط وتداعياتها

كلمة العدد

لا إصلاح لفساد الأنظمة الوضعية إلا بإسقاطها

بات الفساد في تونس يعايش الناس في كل جوانب حياتهم، يصاحبهم في ليلهم ونهارهم، وفي حلهم وترحالهم، بعد أن تهيكل في مفاصل الدولة على امتداد عقود عمر الدولة الوطنية، سياسيا واقتصاديا وأمنيا، حتى أضحت القناعة راسخة لدى عامة الناس أنه لا يمكن الانتفاع بكثير من الخدمات الإدارية لا يحوله عنها مانع، أو الحصول على وظيفة أو مهمة إدارية تؤهله لها شهائده وقدراته، إلا بالوساطة، أو الولاء الشخصي أو الحزبي، أو برشوة، وأضحى التزاحم بتهم تعيين المناصب العليا بين مختلف الحساسيات السياسية أمرا مألوفا ولا يثير الاستغراب أو الاستنكار الجدي.

صار الفساد يسير في شوارع، وطرقات، وأزقة البلاد عاريا لا يستتر فيواري سوأته، ولا يتلثم بلثام ليخفي قبح وجهه.

ـ تنتصب الاعتصامات المطالبة بالحقوق فلا يصل القائمون عليها لغايتهم، وتسد الشغورات الوظيفية والمهنية، والمعتصمون يسمعون وينظرون، ويطوى الأمر بغبار التعب واليأس.

ـ تتلف المحاصيل، وتعقد الصفقات المشبوهة داخلية كانت أو خارجية، فيعلو الضجيج حولها في كل مرة، ولكن سرعان ما يتدخل «القانون» فيمضيها، ولا يحمل جريرة تلك الجرائم لأحد، ودون أن يكون للرأي العام اعتبار يذكر.

ـ تهدر مقدرات البلاد، وتنهب ثرواتها وتستنزف تحت بصر وسمع أهلها، ويسربلهم «القانون» بالعجز، ويحذرون من «التنطع»، وركوب المغامرات وخيمة العواقب.

ـ تهافت مقيت على القروض الخارجية، يسبغ عليها «نواب الشعب» الشرعية القانونية المدسترة، ثم يبتلعها ثقب أسود لا يبحث عن عقره أحد، يبعت بها البلاد والعباد بيع سماح.

عربد الفساد في بلادنا حتى غدت أحواله معلومة غير مجهولة، وعم السهل والجبل، وطغت شخوصه حتى شابت قرونهم فيه، وصار رأيهم هو الحجة وموقفهم هو الفاصل، وامعانا في التضليل، وايغالا في السخرية، نصبوا لمقاومة الفساد هيكلا يسمى: الهيئة الوطنية لمقاومة الفساد.

الفساد ملح النظام الرأسمالي

أورد الصحافي والناقد السينمائي السوري قصي صالح الدرويش في كتابه الذي أصدره أوائل سنة 1987 تحت عنوان: «يحدث في تونس» أن زوجة أحد الوزراء السابقين جاءت بورقيبة، تشكو قلة ذات اليد، وأن كراء المنزل أرهقهم، فأجابها «المجاهد الأكبر» بقوله «ماذا أفعل له وقد وضعته في مكان يأكل منه الذهب، فأبى». فالنظام الرأسمالي بطبيعته يبيح لصاحب السلطة أي تصرف ولا يعد ذلك فسادا إلا إذا افتضح أمره وأزكمت رائحته الأنوف. ألم يقل ترامب أيام فاز بالانتخابات الرئاسية لبلده، للصحافيين حين واجهوه بأن نسبة الضرائب التي يدفعها لا توافق حجم ثروته، فأجاب بأنه وجد ثغرة في القانون فاستغلها؟ وكذلك يعطي النظام الرأسمالي نفسه، المعارض دور المحارب للفساد، فيتخذ من ذلك مطية لمصارعة الخصوم السياسيين، ويجد في اتهامهم بالعجز عن محاربة الفساد ومحاسبة الفاسدين، مجالا رحبا للبروز وكسب ثقة الناخبين.

فأي فساد قاومه رئيس الهيئة الوطنية لمقاومة الفساد، وهو الذي عين منذ جانفي 2016 ليقول منتصف 2020 «إنه إذا تواصل الفساد في تونس بهذا القدر وعلى الشكل الحالي فسيقضي على أركان الدولة ويحولها إلى دولة «مافيوزية».

فالمعارض الذي يبح صوته وهو ينعى الفساد السياسي، والاقتصادي، والأمني وأهله، ويصدع الآذان بمثالية مقيتة حول مقاومة الفساد، يدرك يقينا جدية المنظومة الرأسمالية المهيمنة عالميا في توفير الحماية للفاسدين في بلدانهم فهم أعمدتها وضمانة هيمنتها. حتى إذا وصل إلى مركز القرار وكان له موقعا في السلطة، وأشبع غرور الانتشاء بممارستها في نفسه عرف قدره، ولا يتجاوز حده، ويقنع نفسه أن مقتضيات الحكم تفرض «العقلانية» بالتغاضي عما يسمى فسادا واعتباره من الصغائر. فمن يجرؤ على تحدي الأباطرة من دينصورات المال وحراس معبد النظام الرأسمالي، ويؤذيهم في عبيدهم، فهم فقط من يملكون حق الرضا والغضب.

القوى الاستعمارية تحدد معايير الصلاح والفساد

فالقوى الاستعمارية التي فرضت علينا نظامها بالقوة والبطش هي وحدها وعن طريق مؤسساتها ومنظماتها التي عششت في بلادنا، وفرخت في عقول الساسة، وسائر المضبوعين بثقافة المستعمر، تلك القوى هي التي وضعت معايير الفساد ونسبها، وهي التي تعطي صكوك البراءة فيسعد لها الأغبياء. وهي التي تملك حق ملاحقة القائمين على النظام ومراقبتهم في تقيدهم بحدود ما رسم لهم، وهي التي تقوم على حماية أذنابها من غضب شعوبهم بما يضمن دوام هيمنتهم، أو تغييرهم إن اقتضت الأوضاع ذلك. وهي التي تقوم، في نفس الوقت، مقام المحاسب الضامن، للطهارة الديمقراطية، فلم يتورع تقرير لمعهد كارنيغي الأمريكي عن وصف الحكم في تونس ب: «حكم اللصوص» لإحكام الطوق حوله، وحتى لا يرى مفرا من الانقياد التام لما يسمى بالمجتمع الدولي، للعجز الفطري لدى هذه النظم لفهم آلية التحولات الديمقراطية وما تقتضيه من آليات للحرب على الفساد وسبل تطبيقها، وما تتطلبه هذه الآليات من تمويل ومساعدات تقنية تفرضها قوى الهيمنة لتكون قيدا إضافيا يكبلها. ذلك دون إغفال اعتمادهم على عيونهم بيننا: منظمات المجتمع المدني التي تتبارى في تقديم التقارير عن مختلف جوانب الحياة عندنا. ومن يبدو عليه بوادر التفلت، فإن سيف الإرهاب والتطرف كفيل بإعادته لجادة «الصواب».

فهل لمن قبل بالانخراط في المنظومة السياسية الغربية من طاقة على محاربة الفساد، وإن خلصت منه النية، وقد عمدت قوى الشر العالمية إلى حماية «الهيكل» بجيوش من المتثاقفين والإعلاميين، والسياسيين «العقلانيين» ولفيف من العبيد المبثوثين في كل القطاعات وعلى كل المستويات، وما أمر عبد الفتاح عمر، وفوزي بن مراد، وطارق المكي... رحمهم الله وغيرهم ممن خاضوا هذا العباب؟

أما آن للصادقين من أبناء الأمة أن يدركوا أن الخلل هيكلي، أي أنه في مادة النظام الديمقراطي الرأسمالي، رغم ما لمسوه من آثاره المدمرة، والضنك الذي تتجرعه أمتنا؟ ألم ندرك بعد أن الخير كله في شرع الله وأ ن من رغب عن تشريع الله رب العالمين من المسلمين فعمله غير مقبول ومعيشته ضنك؟ هل المؤمن يخجل من أحكام الله؟ هل يحل للمسلم أن يعطي حق التشريع لمن كفر بالله سبحانه وتعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام؟

بلى أن للمسلمين أن يتبرؤوا من الأنظمة العلمانية الكافرة الجائرة، فهي لا تقبل الإصلاح مطلقا: بل إصلاحها في إسقاطها شعار وعنوان لازالت قلوب أهل تونس وإخوانهم من أمة الإسلام تهفوا اليه.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: 124]. وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً﴾ [الأحزاب: 36]

وقال رَسُولُ اللهِ ﷺ «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».

أ. عبد الرؤوف العامري

سكيزوفرينيا "السياسيين" في تونس، وكذبة الصراع الأيديولوجي مع تركيا وقطر

مهران الماي

تم تأجيل النظر في مشروع قانون أساسي متعلق بالموافقة على اتفاقية مقر بين حكومة الجمهورية التونسية وصندوق قطر للتنمية حول فتح مكتب لصندوق قطر للتنمية بتونس الذي كان مبرمجا في الجلسة العامة لمجلس نواب الشعب ليوم الأربعاء 29 أفريل 2020. بعد ضغط من قبل جزء من الإئتلاف الحاكم وجزء من المعارضة.

وان كانت هاته الاتفاقيات ومثيلاتها لن تغير من أحوال الناس ولن تحقق تعافي الاقتصاد لأنها تدور كلها في منظومة رأسمالية لا ينتظر منها حلول ومعالجات، فإن الرفض الشديد من حزب "الدستوري الحر" وحزب "تحيا تونس" وبعض أحزاب المعارضة يطرح كثيرا من الأسئلة خاصة أن الناس خبرتهم وعرفت مدى انتهازيتهم، وأنّ آخر همهم البلاد والمحافظة على خيراتها.

حين يستمع الناس لرفض بعض الأطراف في تونس لهاته الاتفاقيات مع قطر وتركيا يظن للحظة ان رفضهم نابع عن حب البلاد ودفاعا عن مصالحها وان المصلحة العليا للبلاد هي البوصلة التي تحدد العلاقات بالدول

ولكن في الحقيقة ما هي إلا عنتريات في غير محلها وما هو إلا كذب على ذقون الناس وانتصار لجهات سياسية على حساب جهات أخرى؛

فلو كان الرفض قائما على أساس ان الدول المعنية بالاتفاقية هي دول عميلة وان المشاريع ستصب في مصلحة الدول الرأسمالية الناهبة قد يكون لهذا الكلام نوع من المصداقية ولكن ليس لهذا يحصل الرفض، ولو كان الرفض مبنيا على دراسة للمشروع والنتائج التي يتوقع حصولها وضررها على الاقتصاد، يكون حينها للكلام معنى، لكن الرفض قائم على أساس وهم صراع أيديولوجي مع الإسلام السياسي، والذي تمثله تركيا وقطر حسب ادعاء الرافضين، وهو كلام لا يمت للواقع بصلة فلا الرفض قائم على أساس الايدولوجيا وان كان كرههم لكل ما هو إسلامي أمر محسوم حتى ولو كانت لا تركيا ولا قطر لها علاقة بالإسلام السياسي، ولا تلك الأطراف التي يناوؤونها تمثل إسلاما سياسيا ولا رايحة للإسلام وأحكامه بينهم جميعا.

إن ما يعمق وجود السكيزوفرانيا في عقول أحزاب الورق في تونس هو قبولهم بكل الاتفاقيات ولو كانت مهينة ومخزية مع الدول المتوحشة في الرأسمالية والتي لا يمثل الاتفاق معها سوى نهب لخيرات البلاد واستعبادا للناس فيها.

فمثلا اتفاقيات الغاز والملح والبترول التي وقعت مع بريطانيا وفرنسا وغيرها من الدول الناهبة لا تجرأ عبير موسي ولا مبروك كورشيد ولا الأحزاب الرافضة مجتمعة أن تتحدث حتى همسا مع هاته الدول والشركات المنتصبة في بلادنا ويكونون أكثر شراسة في الدفاع عن هاته الشركات ولا يسمحون لأحد بانتقادها، بل يكونون في صفوف المدافعين عنها وعن "استثماراتها"، حتى مراجعة العقود البالية منذ عقود لا يطرح عندهم.

ثم إن وجود المحاور الإقليمية والتي أصبحت واضحة للعيان فضحت الاصطفاف الموجود في بلادنا لهذا المحور أو ذاك، فتركيا وقطر من ناحية ومصر والإمارات والسعودية من ناحية أخرى والتماهي في المواقف من قبل الأحزاب مع هاته المحاور كفيل بكشف توجهات الأحزاب وولائاتها الإقليمية وهو ما نشاهده في حادثة الرفض هاته فلو كانت مثلا السعودية والإمارات هي صاحبة الاتفاقيات المطروحة فإن موقف الرافضين سيكون مغايرا وهنا تسقط كذبة "المصلحة الوطنية"

أما في ما يخص الايدولوجيا ومحاربة الإسلام السياسي فهو أصيل عندهم لان كرههم للإسلام موجود ومعلوم وهم يعبرون عنه دون تردد وفي جميع المناسبات، ولكن التناقض الحاصل هو إدراكهم أن لا تركيا ولا قطر لها علاقة من قريب أو من بعيد بالإسلام العظيم وان المنظومة القائمة في هاته البلدان هي أنظمة سياسية علمانية صارخة بعلمانيتها ولا يختلف فيها اثنان.

فهذا الادعاء وهذه الجلبة لها أهدافها الواضحة والمكشوفة، فالمصطفون خلف السعودية والإمارات تجدهم يدعمون حفتر والسيسي وبشار وهم ضد حكم الإخوان في مصر والنهضة في تونس وضد ثورة الشام في سوريا ولذلك تجدهم لا يدخرون جهدا في تونس من أجل إفشال التحالفات التي تقيمها حركة النهضة والأحزاب التي تدور في فلكها مع المحور المقابل محور قطر وتركيا وهذا الصراع المحكوم لا ينظر فيه لا لمصلحة البلاد ولا لمصلحة العباد، وهم مستعدون أن يفشلوا كل الاتفاقيات التي لا تسير في ركب أحلافهم حتى لو كانت على حساب الاقتصاد والناس من المنظور الرأسمالي.

غياب النظرة من زاوية خاصة للعلاقات مع الدول والاقتصار على المصلحة الضيقة والاصطفاف مع محاور إقليمية خاضعة بدورها إلى قوى استعمارية غربية، ووضع الحزب والنفس في خدمة دول كبرى يجعل ربط العلاقات مع الخارج غير منضبط وخاضعا للاملاءات، ويصبح حينها يتقلب بحسب مواقف الدول الداعمة والممولة.

بينما لو كانت العلاقات ينظر إليها من زاوية خاصة وهي زاوية الإسلام تصبح حينها تركيا والإمارات والسعودية وإندونيسيا وغيرها من بلاد الإسلام أمرا داخليا وشأنا خاصا بالمسلمين.. ولذلك ينظر لتغيير الأنظمة القائمة في بلادنا لأنها تؤسس للتفرق ووجوب استبدالها بنظام يوحد جميع البلاد في كيان سياسي واحد وهذا موجود وأصيل في مبدأ الإسلام العظيم عقيدة ونظاما، ويصبح النظر للدول التي تعتبر صديقة للأنظمة الحالية عدوة لأنها دول نهبت ثرواتنا لعقود ولنا في رقبتها دماء وأرواح، وتصبح حينها في حكم العدو المحارب وجب على الدولة التعامل معها على هذا الأساس.

الوسط السياسي في تونس مرتبط بالغرب فكريا وسياسيا وبقاءه على هذا الحال يجعلنا دائما في حالة المغلوب على أمرهم، ويجعل يد الاستعمار ممدودة في بلادنا لتعبث بثروة العقول قبل ثروة الأرض ويجعل المصالح الحزبية والشخصية الضيقة تسبق مصالح البلاد، وحتى لا نبقى رهن أهوائهم ونزواتهم وتحالفاتهم وجب بناء وسط سياسي ينطلق من قاعدة مبدئية تجعل الإسلام أساسا لكل شي، ووحدة المسلمين مقدمة على نزوات الانتهازيين والدخلاء على العمل السياسي.

العيد العالمي للمتاجرة بالعمال

الخبر:

توجه أمين عام الاتحاد العام التونسي للشغل نور الدين الطبوبي بكلمة بمناسبة عيد العمال العالمي يوم الجمعة غرّة ماي 2020، وتحدث في كلمته عن الرأسمالية وخطورة العولمة وفشل الحكومات في إيجاد معادلة صحيحة لضمان حقوق العمال

التعليق

في يوم 1 ماي من عام 1886 نظم العمال في شيكاغو ومن ثم في تورونتو إضرابا عن العمل شارك فيه ما بين 350 و 400 ألف عامل، يطالبون فيه بتحديد ساعات العمل تحت شعار "ثماني ساعات عمل، ثماني ساعات نوم، ثماني ساعات فراغ للراحة والاستمتاع.

إذ كان حلم العمال أن يحددوا ساعات العمل لما وجدوه من استعباد وظروف عمل لا يراع فيها أي نوع من أنواع الاحترام للذات البشرية.

خطاب زعيم الاتحاد هذا هو خطاب متكرر تغيب فيه الرؤية الواضحة للمشاكل والتصوير الحقيقي للحلول فهو لا يزيد عن ألفاظ مبتذلة لحقبة اشتراكية أثبتت عجزها عن المعالجة بل زادت في تأزيم المشاكل وتفاقمها.

لم يعد بالإمكان للاتحاد وخطابه الشعبوي ولا الحكومة وخطابها الرسمي أن يقنعوا العمال أنهم يعملون على إيجاد حلول لمعضلة العمل والعمال.

ولا يمكن ذلك حتى ولو كانت هناك إرادة لإيجاد الحلول لان الفشل بالأساس نابع من المنظومة القائمة في بلادنا ومن تطبيق النظام الرأسمالي علينا.

الاتحاد الذي يتقد الرأسمالية نجده موغلا فيها ومساهما في تدخل صندوق النقد الدولي والبنك العالمي في رسم سياسته في بلادنا.

فلا خطاب الاتحاد المتأثر بالاشتراكية وفلسفتها قادر على إيجاد حلول للعمال لان المبدأ الاشتراكي قد طبق وبان فساده وظلمه الشغالين ولغير الشغالين، ولا الحكومة ونظامها الرأسمالي المطبق بالغصب والقهر يملك الحلول للمشاكل التي إنتجها النظام نفسه.

إذ أصبح البحث عن الطريق الثالث هو الحل لإيجاد المعالجات وضمان حقوق العمال وغير العمال، وهذا الطريق واضح معلوم خاصة لنا نحن المسلمين.

إن الإسلام العظيم بما فيه من عقيدة ونظام حياة له من الأحكام الشرعية الكفاية لتنظيم العيش وقوانين العامة والتفصيل منها ولها الكفاءة على ضمان حقوق الشغالين من بداية إبرام العقود إلى مآلاتها وانعكاساتها على العامل في حياته، والدولة في الإسلام ضامنة لإنفاذ العقود.

وقد شملت أحكام الإسلام تعريف الإجارة وأنواع العمل ومدته والأجرة وكيفية تحديدها، وجملة من الأحكام التي تنظم علاقة الأجير بالمؤجر بما يضمن حق الجميع.

وقد اعتبر العمل من أسباب التملك في الإسلام والأهم من ذلك أن دولة الإسلام دولة رعاية، فإذا عجز العامل أو الأجير عن كفاية نفسه ومن هم في نفقته وجب حينها على الدولة أن توصل إليه ما يكفيه عن سد حاجته وحاجة من هم في كفالته ولا تتركهم كما يفعل النظام الرأسمالي المطبق اليوم.

لا يحتاج العمال اليوم لعيد ليذكرهم بآلامهم كل عام، وهم ليسوا في حاجة للنقابات لتساوم وتفاوض الدولة بجهدهم لحسابات ضيقة وانية أنانية.

بل هم في حاجة لدولة حق وعدل تضمن الحقوق بالفعل وتوجد الرعاية والكفاية للناس جميعا وهذا موجود في الإسلام العظيم وستطبقه دولة الخلافة القادمة إن شاء الله وسيدرك العالم حينها ضخامة الفرق بين استعباد الرأسمالية والاشتراكية وعدل الإسلام العظيم.

ماذا يحدث في كواليس السياسة في تونس

للحالمين بالتغيير نقول: على أساس الإسلام وإلا فباطل..

مهران المي

يتردد في الأوساط السياسية التونسية حديث حول التحضير للفوضى من أجل إسقاط الحكومة.. وظهر هذا في تصريحات بعض السياسيين والمتابعين وحتى أحزاب سياسية على غرار بيان حركة النهضة الذي جاء فيه أن الحركة تدين بعض الحملات المشبوهة الداعية للفوضى والتي تستهدف مجلس نواب الشعب ورئيسه، وتسعى لارباك المسار الديمقراطي التونسي واضعاف مؤسسات الدولة، في ظل تحديات صحية واقتصادية استثنائية.

وقد كتب الإعلامي والسياسي الحبيب بوعجيلة تدوينة بعنوان المؤامرة... حتي لا يخدع الأغبياء مرة أخرى. وقد تحدث في التدوينة عن حملات ممولة وصفحات مأجورة لإعادة سيناريو انقلاب الروز بالفاكية..

والمتتبع للوسط السياسي التونسي يلاحظ ومنذ نتائج انتخابات 2019 الأجواء المتوترة خاصة في عملية تشكيل الحكومة أو حتى داخل البرلمان، والدور المفضوح لعبير موسي وحزبها في ترذيل المشهد السياسي.

حلم السيناريو المصري الذي ذهب بحكم الإخوان لازال يداعب عقول الطامعين في حكم تونس من بقايا يسارين وتجمعيين وحتى من المدعين للديمقراطية والمشاركين في الحكم مع حركة النهضة.. والدعم الإماراتي غير المخفي منذ أيام الباجي قائد السبسي وصولا إلى متمعشي اليوم يجعل الحلم ممكن التحقيق في نظر الطامعين في الحكم خاصة إذا توفرت أسباب إسقاط الحكومة وهي موجودة شعبيا بقي ان تتحرك بتسخين الأجواء واستغلال المشاكل الاقتصادية من أجل تحريك الشارع للضغط على الحكومة من أجل السقوط.

اعتصام "الروز بالفاكية" كما أطلق عليه سياسيا لم يصل للنتائج التي انتظرها المراهنون على إسقاط الإخوان في تونس خاصة وان التجربة قد نجحت في مصر ولكنها أثرت في الاستقرار السياسي الذي بحثت عنه حركة النهضة لتتمكن من تثبيت أقدامها في الحكم سيرا على خطى أردوغان، واضعف من قوتها واستطاع الباجي أن يقاسمها بيت الوكالة والتنفيذ عن "المسؤول الكبير".

هذا الواقع الذي وصلت إليه تونس جعل الحكم مجزّأ، وجعل من حركة النهضة رقما ذي أهمية في معادلة الناظر العام للمشهد والمسؤول الأول على حسن سيره كما صاغت يداه، وقد ثبت ذلك بالفعل في الانتخابات الأخيرة بالرغم من التراجع الكبير في عدد الداعمين للحركة.

رغم التراجع الكبير لحركة النهضة فإن المراهنين على إسقاط "الإسلام السياسي" دوليا وإقليميا لازالوا يعملون عن طريق عملائهم في تونس من أجل إنهاء المهمة والقضاء نهائيا على حكم الإخوان.

قد يتساءل العارفون بحركة الإخوان في مصر وحركة النهضة في تونس عن التناقض الحاصل بين معرفة هذه الدول للحركات الإخوانية وعن علاقتها بالطرح الإسلامي البديل وبين محاربتهم للإسلام السياسي.. والجواب على ذلك هو أن الحرب تتجاوز هاته الحركات وهي عملية استباقية لمحاربة أي حكم إسلامي حقيقي بإيجاد حالة من الرفض العام في عقول ونفوس المسلمين لمستقبل الإسلام السياسي في المنطقة بصناعة "نماذج إسلامية" وإفشالها وهذا ثبت بعد تجربة حكم الإخوان والنهضة التيار السياسي وحكم داعش التيار الجهادي في سورية.

الوضع الاقتصادي المتدهور والوضعية الاجتماعية الهشة والنقمة على الطبقة السياسية الحاكمة كفيلة بتحريك الشارع واستغلاله من أجل الضغط على الحكام الحاليين وزعزعة ما تبقى من رصيد سياسي لهم ووجود أحزاب حالمين بالحكم وطامعين فيه يجعل العملية ممكنة نظريا وواقيعيا.

صحيح أن الواقع في تونس يحتاج إلى تغيير جذري وأن النخبة الحاكمة بقيادة حركة النهضة لا ينتظر منها خير بل هي متورطة في جعل المشهد السياسي على هذا الحال بداية بتخليها عن الإسلام كنظام سياسي انتظره أهل تونس وصولا إلى رفضها قانون العزل السياسي والتوافق الملعون مع الباجي قائد السبسي.. ولكن التغيير المطلوب لا ننتظره من الإمارات والسعودية والدور الكريه الذي يلعبانه.

إن التغيير الذي يجب أن يحصل في تونس يجب أن يكون تغييرا جذريا يقطع مع المنظومة الحالية بالكامل في الأصول والفروع والتفصيلات، في الدستور والمراجع الفكرية وفي القوانين التفصيلية وفي النظرة للحياة وللعلاقات، تغيير يكون أساسه الإسلام عقيدة ونظاما، ويقطع مع الاستعمار وعملائه من أشخاص وشركات ناهبة وسفارات تلعب أدوارا قذرة في بلادنا.

فإذا حصل التغيير على هذا الأساس حينها فقط يمكن لنا أن نتحرر وننهض ونكفّ أيدي العابثين بالبلاد، ونعود خير أمة أخرجت للناس.

وزراء حكومة الفخفاخ ومستشاريه شرذمة يسيرون بتونس إلى الهاوية

محمد زروق

الخبر :

تعيين القيادي في حركة النهضة عماد الحمامي مستشاراً لدى رئيس الحكومة إلياس الفخفاخ برتبة وزير، وتعيين القيادي في حركة النهضة أسامة بن سالم في منصب مستشارا لدى رئيس الحكومة برتبة كاتب دولة .

التعليق :

صدى هذا الخبر كان واسعا ومثيرا للجدل، وقد أثار سيلاً من الانتقادات على مواقع التواصل الاجتماعي خاصة منها «الفايسبوك» وأيضا على المواقع الالكترونية والإخبارية، حيث وردت الكثير من ردود الأفعال المندّدة والمستنكرة والمستغربة من هذا قرار في هذا الظرف الصعب والمفصلي في تاريخ تونس حسب ما جاء في تعليقات هاته المواقع.

وبالفعل فإنّ التعيينات الجديدة لرئيس الحكومة إلياس الفخفاخ طرحت الكثير من التساؤلات من طرف الكثير من المتابعين، وخصوصاً في جانب علاقتها بحركة النهضة، وهذا الجانب كان حاضرا وبارزا لدى عموم المعلّقين على أساس أنها تسميات تقوم على الترضيات والولاءات الحزبية، فمن بين ما قيل في هذا السياق أن تعيين الحمامي مستشاراً لدى رئيس الحكومة هدفه أن يكون عيناً لرئيس حركة النهضة راشد الغنوشي في القصبة، وتساءل البعض الآخر لماذا تتمّ التعيينات فقط من حركة النهضة، خصوصاً وأنه سبق أن تمّ تعيين الحبيب خضر مستشاراً لدى رئيس مجلس النواب!؟ متهمين حركة النهضة بمواصلة إنجاز برامجها عبر فرض أعضائها في مراكز القرار العليا بالحكومة، في ما غمز آخرون أن تعيين الحمامي مستشارا كان شرطاً من شروط النهضة لمنح الثقة لحكومة الفخفاخ.

وبعيدا عن التنازع الحزبي فإنّ الانتقادات طالت أيضاً مصداقية رئيس الحكومة إلياس الفخفاخ، حيث اعتبر البعض أن سيل التعيينات سيكلف الدولة مزيداً من تبذير أموال دافعي الضرائب، وخصوصاً أنّه سبق أن تمّ تعيين جوهر بن مبارك مستشاراً سياسياً له، ولذلك وقعت مطالبة رئيس الحكومة بتسديد أجور المستشارين من حرّ ماله وليس من الأموال العامة. أمّا البعض الآخر، فتساءل: كيف يمكن لدولة على حافة الإفلاس، غارقة في الديون والمديونية، أن تسرف بلا حساب، وتغدق على المسؤولين رواتب وزراء ومستشارين، ثمّ تغلق أبواب الانتدابات من جهة أخرى؟

وبالفعل فرغم ما تمرّ به البلاد منذ سنوات من صعوبات اقتصادية واجتماعية وارتفاع في نسبة الفقر والبطالة وتجميد الانتدابات في القطاع العمومي وإلغاء المناظرات، فإن جلّ الحكومات أوجدت طرقا جديدة للالتفاف من التعقيدات القانونية والإيحاء بأنه لا يوجد تجاوزات في الانتدابات والتعيينات حيث إبتدعت نوعية جديدة من العقود تُسمى بعقود «إسداء الخدمات» يتم عبرها تحقيق الترضيات وتعيين حاشية من المستشارين والمتعاونين في خدمة الوزراء على حساب ميزانية الوزارات في حد ذاتها في إطار المحاباة والمكافاءات، إضافة إلى التكلفة التي ستتحملها الدولة في ظل غرقها بالديون، فهي تعيينات في غير وقتها ومن غير أهلها إضافة إلى أنّها إهدار للمال العام.

والأمر المستغرب لدى الكثيرين من المتابعين والمعلّقين التناقض الكبير بين الموقف المعلن والذي يؤكده رئيس الحكومة في كل مرة وفي كل حوار وبين الممارسة على أرض الواقع، فعندما يطلب من التونسيين الصبر والتضحية والتقشف وقبول بعض الإجراءات القاسية التي تطال التونسي في قوته اليومي كان من الأولى أن يترجمه إلى فعل حقيقي من خلال التقليص في عدد المستشارين وليس الزيادة فيها ويمكن أيضا أن يترجم في التقليص في عدد الوزارات ولا تركها على ما هو عليه الحال الآن، كما يمكن أن يُترجم أيضا من خلال اتخاذ إجراءات تقشفية وحقيقية تطالب الخصوص امتيازات الوزراء وكل من تحصّل على امتيازات.

لكن أن يطلب من النّاس التضحية ثم يتخذ قرارا بإقتطاع يوم عمل من الموظفين والعاملين في القطاع العام والخاص وبصفة إجبارية لاطوعية، ثم يعيّن مستشارين لا يمكن لهم أن يقدموا البتّة أية إضافة أو نصح، فهذه رسالة سلبية يبعثها رئيس الحكومة إلى الرأي العام قوامها الإستهتار والعجرفة وعدم الإحساس بهموم النّاس ومشاغلهم وتطلّعاتهم ومن هنا نفهم تواصل وتواتر ردود الأفعال التي لوحظت لدى عامة الناس جرّاء ذلك.

أما كون هؤلاء المستشارين لا يمكن لهم أن يقدموا البتّة أية إضافة أو نصح فإنّما ذلك راجع لسبب بسيط: هو أن من يضع التشريعات في تونس ومن يصنع البرامج السياسية والسياسات الإقتصادية والإجتماعية ليس هؤلاء الوزراء ولا المستشارون من حولهم، بل يتمّ ذلك بإشراف مباشر من الدول الأوروبية ومن صندوق النقد الدولي والبنك العالمي، أمّا هؤلاء الوزراء ومن معهم من جموع المستشارين فلم يكن لهم إلاّ التنفيذ أو التوقيع عندما يطلب منهم ذلك.

إنّ هذه الحكومة ليست لها حلول وليست لها إرادة بل هي أداة لتنفيذ أوامر وقرارات المؤسسات المالية الدولية لأنّنا أمام

في الأساطير المؤسّسة للنّعرة الأمازيغيّة البربريّة 3/2

بسام فرحات (أبو ذرّ التونسي)

إنّ واقع التّعايش والتّناغم والانسجام الذي ميّز الشّعب المغاربيّ ـ عقائديًا وثقافيًا وحضاريًا ـ وحال اللّحمة والانصهار والتّماهي بين مكوّناته، بقدر ما حاولت الامبراطوريّة الفرنسيّة جاهدة مسخه وإلغاءه وتهميشه، فإنّها في المقابل عملت وسعها على استنساخه والنّسج على منواله والإيهام به وإسقاطه على (هويّة أمازيغيّة بربريّة) مصطنعة مفتعلة مختلقة من بنات أوهامها الاستعماريّة المريضة ثمّ فرضها على واقع المنطقة برمّتها (تعميما للفائدة).. فإذا بها في مفارقة وقحة وجريمة مضاعفة تنخرط محمومة في تزييف وطمس حقيقة ينطق بها صراحة الحجر والشجر قبل البشر في شمال إفريقيا بالتّوازي مع تكريس غرية وأكذوبة مركّبة ينفيها التّاريخ وتنكرها الجغرافيا مستعينة في ذلك بطاقم من العلماء والعملاء تولّوا أمر تسويقها في قالب حقائق مطلقة ومسلّمات بديهيّة لا يرقى إليها أدنى شكّ مع أنّها خرافات وأساطير بعضها فوق بعض..

أمّا الأسطورة الأمّ والرّحم التي تعتمل فيها باقي الأساطير فهي اعتماد اللّغة مقياسا للتّقسيم: فقد عُدّ النّاطقون بالعربيّة عربا والنّاطقون بالأمازيغيّة بربرا مع أنّ الواقع التّاريخي والاجتماعي يؤكّد أنّ العمق البشريّ الدّيموغرافي لشمال إفريقيا والعمود الفقريّ لتركيبته السّكانية هو بلا منازع بربريّ صرف، فلا يُعقل سوسيولوجيًا وجينيًا أنّ بضعة آلاف من الفاتحين ومجموعات قبليّة صغيرة كانت من فئة (الأرانب) بحيث استطاعت تحوير التّركيبة العرقيّة للمنطقة وقلبها رأسا على عقب لصالح الجنس العربيّ.. فالذي حصل تاريخيًا هو ذوبان العرب عرقيًا في البربر في مقابل ذوبان البربر ثقافيًا وحضاريًا في العرب المسلمين.. فلئن عمّ الإسلام جميع البربر فإنّ التعريب اللّسانيّ استثنى سكّان المناطق المعزولة المنيعة الذين تحصّنوا بها وحالت تضاريسهم الوعرة دون اختلاطهم بالعرب الفاتحين.. فالحاصل والثّابت أنّ سكّان شمال إفريقيا كلّهم بربر ـ إن لم يكن ذلك عرقا ودما فنسبا ومصاهرة ـ وإنّ التّصنيف الثّنائيّ النمطيّ القائم على جنسين (عرب/بربر) الذي أرادته فرنسا قالبا جاهزا للفتنة والصّراع ما هو في الواقع إلاّ ثنائيّة من داخل الجنس البربريّ نفسه (بربر ناطقون بالعربيّة/بربر ناطقون بالأمازيغيّة).. فالبوتقة العرقيّة البربريّة الطّاغية والمسيطرة صهرت جميع الأجناس التي طرأت على المشهد المغاربيّ (قرطاجيّين ـ رومان ـ عرب ـ أتراك..)..

أسطورة الأصل الأوروبيّ

إلاّ أنّ هذا الاستنتاج الوجيه المطابق لسنن الاجتماع البشريّ القاضية بذوبان الأقليّة في الأغلبيّة لا يكفي وحده للإجابة عن السّؤال المركزيّ الذي تتأسّس حوله الإشكاليّة: ما هو أصل البربر..؟؟ إذ على ضوء الإجابة عنه يمكن إمّا ترسيخ البربر في فضائهم الحضاريّ العربيّ الإسلاميّ أو فصلهم عنه وربطهم بأوروبا وإدماجهم بفرنسا وبالتّالي شرعنة استعمارهم..لقد أجمع النسّابة العرب من مختلف الطّبقات والأجيال حول الأصل المشرقيّ العربيّ للبربر والرّبط بينهم وبين قبائل بني مازيغ وبني صنهاج التي انتقلت من جزيرة العرب إلى بلاد المغرب منذ الألف العاشرة قبل الميلاد..كما أجمع النسّابة البربر أنفسهم من صاحب الحمار إلى حسن الوزّان على انتماء البربر إلى العرق العربيّ إمّا عبر مازيغ ابن كنعان ابن حام ابن نوح (بالنّسبة لفرع البرانس) أو عبر قيس عيلان المضريّ العدنانيّ (بالنّسبة لفرع البتر) أو عبر حمير (بالنّسبة للطّوارق).. وبصرف النّظر عن مصداقيّة هذا الإجماع العلميّة ومدى حجّيته ومطابقته للحفريّات الأثريّة والأبحاث الأركيولوجيّة والأنثروبولوجيّة ـ وهي تثبته وتؤكّده ـ فإنّ المدرسة التاريخيّة الاستعماريّة الفرنسيّة أقصت هذا الاحتمال بشكل مسبق ونفته ابتداء وخاضت أبحاثها بهذه الخلفيّة المغرضة في إطار مخطّطها الهادف إلى عزل البربر عن محيطهم الشرقيّ وحشرهم قسرا في محيطها الغربيّ لاستيعابهم وتذويبهم فيها :فقد روّجت لنظريّات متعدّدة تلوي عنق الحقيقة وتحقّق لها غايتها مثل نظريّة الأصل الأوروبيّ للبربر أو نظريّة الأصل الحاميّ أو نظريّة جنس البحر الأبيض المتوسّط.. وقد طعن الباحثون النّزهاء فيها جميعها وبيّنوا تهافتها لاسيّما وأنّها قائمة أساسا على فرضيّة مستحيلة تتمثّل في إمكانيّة الملاحة البحريّة بين ضفّتي المتوسّط والتي لم تكن متاحة قبل العصر الحجريّ الحديث.. كما أنّ البحوث الجينيّة واللغويّة المقارنة لم تصدّقها بل جاءت متعارضة معها ممّا اضطرّ (الدكتور فالو) رئيس البعثة الأثريّة للاعتراف في تقريره الرسميّ إلى والي الجزائر العامّ سنة 1949م (بعدم واقعيّة إدماج المغرب العربيّ بأوروبا نهائيًا)..وبسقوط هذه النظريّة الفجّة تهاوى معها الحلم الاستعماريّ بدمج المنطقة المغاربيّة في الكيان الفرنسيّ وبترها عن جسمها المشرقيّ..

أسطورة الأصل المحليّ

إلاّ أنّ المدرسة التاريخيّة الاستعماريّة لم تيأس وارتمت مرغمة مكرهة في أحضان النظريّة الانثروبولوجيّة القاضية بأنّ البربر يتحدّرون من سلالات ما قبل التّاريخ المحليّة بالمنطقة على غرار الحضارة العاتريّة والحضارة الموستيريّة والحضارة القفصيّة والوهرانيّة.. وقد روّجت لها بكثافة في محاولة منها لتدجين البربر وجعلهم أهليّين محليّين بعد أن تعذّرت أوربتهم، الأمر الذي يضمن هو الآخر عزلهم عن عمقهم العربيّ الإسلاميّ ونفي أيّ صلة لهم بالمشرق.. وقد ركبت في سبيل ذلك وبكلّ وقاحة كلّ المحظورات من قبيل إقصاء أبحاث وإخفاء معلومات وتوخّي أسلوب انتقائيّ طامس للحقائق مشوّه لها: فلإخضاع المغرب العربيّ إلى منطق هذه النظريّة أقصت المدرسة التاريخيّة الاستعماريّة الفرنسيّة ليبيا من دراستها وعزلتها عن باقي المنطقة وصمتت عن نتائج أبحاث ما قبل التّاريخ فيها لا لشيء إلاّ لأنّها ممرّ وعنصر ربط، فمواقعها التاريخيّة تثبت سيرورة الانتشار الجغرافيّ ومساره التاريخيّ من الشّرق نحو الغرب وتؤكّد بالتّالي التّواصل الحضاريّ والبشريّ بين المشرق والمغرب عبر تشابه الصّناعات الحجريّة والمنحوتات والأساليب الفنيّة وانتقال النّشاطات الزراعيّة والفلاحيّة.. كما غيّبت المعلومات المتوفّرة عن الحضارات الوهرانيّة والموستيريّة والعاتريّة التي تثبت أنّ أصحابها مجموعات مهاجرة من الشّرق..وتعمّدت إخفاء نتائج الحفريّات المتعلّقة بالإنسان القفصيّ التي تربطه مباشرة بنماذج بشريّة من آسيا الغربيّة ،ممّا يؤكّد أنّ ما اعتبرته هذه المدرسة الاستعماريّة (حضارات محليّة) ما هو إلاّ أجناس طارئة على المنطقة المغاربيّة وعناصر مهاجرة ـ من الشّرق تحديدا ـ حاملة معها مكتسباتها الفلاحيّة والرعويّة ،ناهيك وأنّ شمال إفريقيا خال من أصول نباتات الحبوب والحيوانات المدجّنة في شكلها البرّي بما ينفي قطعا أصالة تلك النّشاطات ويُثبت يقينا استقدامها من خارجه..فالنظريّة الانثروبولوجيّة التي تشبّث الاستعمار بتلابيبها أوهن من بيت العنكبوت لا تصمد أمام النّقاش العلميّ الموثّق ولا يمكن أن تطمس أصالة البربر الشرقيّة وأرومتهم العربيّة القديمة..

أسطورة (الأمّة البربريّة)

حفاظا منها على المنطق الدّاخليّ للنظريّة الأنثروبولوجيّة ادّعت المدرسة التاريخيّة الاستعماريّة أنّ البربر مجموعة عرقيّة وإثنيّة متجانسة وشعب موحّد تجمع بين أفراده سمات جينيّة ومميّزات ثقافيّة وحضاريّة مشتركة تميّزه عن سائر الشّعوب وترقى به إلى مستوى الأمّة ذات الحضارة العريقة ،وطفقت تروّج لمقولات من قبيل (اللّوبيّون هم سكّان شمال إفريقيا الأصليّون ـ الشّعب البربريّ ـ الحضارة البربريّة ـ الأمّة البربريّة..) قبل أن يستقرّ بها الاصطلاح عند (الشّعب الأمازيغيّ ـ أمازيغ العالم ـ الحضارة الأمازيغيّة..) وهو كلام إنشائيّ يفتقد لأدنى مصداقيّة علميّة مسوق على عواهنه تحت ضغط هواجس الاستعمار الانقساميّة يُكذّبه الواقع ويفنّده البحث العلميّ النّزيه..فالثّابت تاريخيًا أنّ مصطلح (بربر) صفة مشحونة بمعاني الاستنقاص والاستهجان تفيد معنى الهمجيّة والتوحّش والتخلّف أطلقه الإغريق والرّومان وقصدوا به مجموعات بشريّة تقطن شمال إفريقيا من غرب النّيل إلى المحيط الأطلسيّ ومن المتوسّط إلى تخوم الصّحراء ،وهي متّسع جغرافيّ استوعب العديد من الشّعوب والقبائل المختلفة عرقيًا وإثنيًا..كما أنّ مصطلح (أمازيغ) الذي يعني (الرّجل الحرّ النّبيل) والذي أشاعه أصحاب النّزعة البربريّة في أدبيّاتهم وعمّموه على كامل سكّان شمال إفريقيا فإنّه ليس علما على كلّ البربر، بل هو اسم لقبيلة كبرى من قبائلهم اتّصفت بتلك الصّفة وتردّد اسمها في المصادر التّاريخية اللاّتينية واليونانيّة والإغريقيّة والفرعونيّة لكثرة تمرّدها ورفضها الإذعان للنّفوذ الأجنبيّ ،وقد عُمّم هذا الاسم من باب تسمية الشّيء بأبرز ما فيه كما عمّم الإسبان اسم قبيلة (المور) على سائر البربر ثمّ على مسلمي الأندلس (الموريسكيّون)..فالبربر شعوب وقبائل متعدّدة منحدرة من إثنيّات وثقافات مختلفة، وإنّ الادّعاء بتجانسها العرقيّ والإثنيّ مجرّد أسطورة من اختلاق المدرسة التاريخيّة الاستعماريّة الفرنسيّة ،وهذا باعتراف أحد أقطاب منظّريها (الدّكتور روني باسي) حيث قال في كتابه (البربر) ص 11 (هناك معطى غير قابل مطلقا للنّقاش :أنّ البرابرة اليوم ـ معرّبين أم غير معرّبين ـ لا يشكّلون بأيّ طريقة من الطّرق مجموعة عرقيّة إثنيّة متجانسة) والفضل ما اعترف به الأعداء..

أسطورة التجانس العرقيّ

هذا الحكم الذي يرقى إلى مستوى المسلّمة التاريخيّة البديهيّة يكتسب مصداقيّته وحجيّته من تواتره وانطباقه على واقع البربر عبر سيرورة تاريخهم من العصر الحجريّ إلى يوم النّاس هذا بالمشاهد الملموس :فقد أثبتت الحفريّات والتّنقيبات والكشوف الأثريّة أنّ منطقة شمال إفريقيا شهدت في العصر الحجريّ الحديث حضارات مختلفة متمايزة من حيث طرق العيش والعادات الغذائيّة والأدوات المستعملة والصّناعات الحجريّة والأساليب الفنيّة (الحضارة العاتريّة ـ القفصيّة ـ الموستيريّة ـ الوهرانيّة..) وأنّها كانت تعكس نماذج بشريّة متنوّعة من حيث السّمات والبنية الهيكليّة ،ممّا أجاز لنا التحدّث عن (الإنسان القفصيّ ـ إنسان بئر العاتر ـ إنسان مشتى العربيّ ـ أصحاب الرّؤوس المستديرة)..هذا الخليط العرقي الإثني اللاّمتجانس والذي ميّز فترة ما قبل التّاريخ تواصل مع الفترات التّاريخية القديمة والوسيطة ،إذ نجد له صدى في كتب النسّابة الإغريق والرّومان والعرب وفي نقوش المعابد الفرعونيّة :فقد تحدّثت كلّها وبصراحة عن قبائل وشعوب متعدّدة ومتنوّعة مختلفة من حيث سحنتها وسماتها الخلقيّة وبنيتها الهيكليّة ومعتقداتها وعاداتها وتقاليدها تؤثّث الفضاء المغاربيّ وتشغل مناطق مختلفة فيه (الأمازيغ ـ التحنو ـ التمحو ـ اللّيبو ـ المشواش ـ القهق ـ السبد ـ الأسبت ـ القايقش ـ الشّيت ـ الهسا ـ البقن ـ الكيكش ـ المور ـ جدالة..).. وممّا يؤكّد هذه المعلومات أنّ النماذج الحاليّة المعاصرة للبربر تعكسها بأمانة وبالمشاهد الملموس ،فيمكن أن نلاحظ اليوم بكلّ يسر خمس مجموعات عرقيّة بربريّة متباينة في مظهرها :المجموعة الأولى متميّزة بطول القامة والشّعر الأشقر والعيون الملوّنة وهي منتشرة في بلاد القبائل والأوراس (زواوة ـ كتامة)..المجموعة الثّانية متميّزة بقصر القامة والسّمرة والشعور السّوداء والعيون العسليّة وهي منتشرة في جبال الرّيف والأطلس المغربيّين (غمارة ـ هوّارة)..المجموعة الثّالثة تتميّز بالطّول وخفّة الشّعر والوجوه العريضة والشّاحبة وهي منتشرة في أواسط الصّحراء ومناطق سوف ومزاب والجريد (فطناسة ـ هرماسة ـ قرماسة)..المجموعة الرّابعة متكوّنة أساسا من طوارق الصّحراء وتتميّز بطول القامة والأطراف وضيق الصّدر والبطن مع غلبة السّمرة والملامح الزنجيّة (صنهاجة ـ لمتونة)..المجموعة الخامسة تتميّز بالقصر والسّمرة وضخامة الجثّة والرّؤوس الكبيرة المستديرة ومجالها غرب النّيل إلى الحدود التونسيّة..وهو تنوّع يعكس بلا شكّ تعدّدا في الأصول والأعراق ،فعن أيّ تجانس عرقيّ وإثنيّ للبربر نتحدّث..؟؟ (يتبع)

أركان النظام التركي بالمئات عند قبر مؤسسه ويمنعون صلاة الجمعة والجماعة

قام النظام التركي يوم 2020/4/23 بالاحتفال بما يسمى عيد السيادة الذي شرعه مصطفى كمال هادم الخلافة والشريعة، أي عيد إلغاء السيادة للشرع وجعلها للشعب على النمط الغربي، فتوجه أركان النظام وخاصة أعضاء البرلمان نحو المبنى الضخم لقبر مصطفى كمال ليقوموا بتأدية شعائر العبادة الكمالية، بالسير جماعيا والصعود إلى الأعلى نحو مكان فيه القبر، وعزف موسيقى حزينة وموسيقى النشيد الوطني ومن ثم الانحناء أمام قبره والوقوف دقائق من الصمت تعبيرا عن الخشوع وتقديم إكليل زهور والكتابة في دفتر المذكرات للتأكيد على اتباع مبادئ الكفر التي جاء بها والتضحية في سبيلها من علمانية وجمهورية وديمقراطية وقومية ووطنية وحرية. وظهرت صور أعدادهم بالمئات متلاصقين، ولكن كانت تغطي أفواههم الكمامات. وقد ظهر أردوغان بدون كمامة مع مجموعة أطفال يحتفل بالعيد ويهتف بالنشيد الوطني معهم وألقى كلمة يذكّر بأن هذا العيد عيد السيادة للشعب عيد الديمقراطية وكال المديح لمصطفى كمال باني الجمهورية وترحم عليه.

بينما في المقابل يُمنع المصلون منذ أسابيع من دخول المساجد وإقامة صلاة الجمعة وصلاة الجماعة ولو لبسوا الكمامات وأخذوا كل التدابير والاحتياطات ولو كانوا من الأصحاء بدعوى فيروس كورونا، واتخذوا قرارا بإغلاق المساجد طوال شهر رمضان. وكذلك يحارَب المسلمون الذين يدعون إلى إحياء الخلافة، وقد أصدرت الدولة عفوا عن المساجين المرتكبين للجرائم العادية من قتل واغتصاب وسرقة ونهب واختلاس وتعدٍ على حقوق الأفراد وغير ذلك من الجرائم وتجار مخدرات، ولكن عفوها لم يشمل حملة الدعوة الإسلامية ودعاة الخلافة ومنهم شباب حزب التحرير.

الاتحاد الأوروبي يعاني من أزمة الاتفاق السياسي لمواجهة أزمة فيروس كورونا

قال المفوض المعني بالصناعة في الاتحاد الأوروبي تيري بيرتون في مقابلة مع تلفزيون "فرنسا2" يوم 2020/4/24: "اليوم، في الاتحاد الأوروبي، نتجه صوب (ركود) بنسبة 5٪ إلى 10٪، وإذا لم تتحسن الأمور وإذا شهدنا ذروة ثانية (لتفشي فيروس كورونا) قد تتفاقم الأمور". وقال "كل شيء يتوقف على سرعة تعافي الاقتصاد. ما زلنا في خضم الجائحة وسنتعلم العيش معها لعدة أشهر". وأشار إلى أنه "متفائل بأن قادة الاتحاد الأوروبي سيتمكنون في نهاية المطاف من وضع تفاصيل صندوق طارئ حجمه تريليون يورو".

وقد عقد قادة الاتحاد اجتماعا عبر الفيديو يوم 2020/4/23 ليتفقوا على بعض النقاط ويختلفوا على أخرى. وأرجأوا إعداد خطة لإنعاش الاقتصاد في مواجهة الركود الناجم عن فيروس كورونا إلى أواسط الشهر القادم، شهر أيار، فقد تحدث الرئيس الفرنسي ماكرون عن آليات لإنعاش الاقتصاد بينما تحدث رئيس الوزراء الإيطالي عن مرحلة مهمة تواجه الاتحاد الأوروبي. وحذرت رئيسة البنك الأوروبي كريستين لاغارد من "أخطار التحرك القليل جدا وبشكل متأخر جدا" وتعهدت المستشارة الألمانية ميركل بمساهمة ألمانيا في موازنة الاتحاد الأوروبي، إلا أنها استبعدت تشارك الديون للبلدان الأوروبية كما تطالب به دول جنوب أوروبا.

إن تداعيات الأزمة التي نتجت عن تفشي فيروس كورونا كبيرة جدا، فقد هزت الكيانات الكبرى العالمية من كيان الولايات المتحدة الأمريكية إلى كيان الاتحاد الأوروبي، وكل ذلك يشير إلى حدوث تغيرات في الموقف الدولي، والمجال مفتوح لصعود الأمة الإسلامية وإمساكها بزمام شؤون العالم تديره بالحق والعدل، وهذا لا يتأتى إلا بوجود كيان لها يطبق الإسلام تمام التطبيق متجسدا في دولة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة.

روسيا ورئيسها في حالة اضطراب وأهل سوريا قادرون على طردها

اضطر الرئيس الروسي بوتين إلى تأجيل تصويت كان من المفترض أن يجري يوم 2020/4/22 على تعديلات دستورية تمكنه من البقاء في الحكم حتى عام 2036، وهو يقود بلاده الآن بعيدا عن موسكو حيث يجري اجتماعاته عبر الفيديو، وأجّل إجراء استعراض عسكري بمناسبة الانتصار على ألمانيا النازية. وهذا حدث تاريخي كان يستغله لدعم سياسته وإجراءاته. وكل ذلك بسبب تفشي فيروس كورونا. وقد تدنت شعبيته إلى 63٪. وأظهر استطلاع جديد للرأي بأن غالبية الروس يساورهم القلق بسبب الأزمة الاقتصادية التي تعصف بالبلاد. وقد ارتفع عدد العاطلين عن العمل لثلاثة أضعاف ليصل إلى 8 ملايين شخص. وخرجت احتجاجات في جنوب روسيا ضد الأوضاع المتفاقمة فقامت السلطات بقمعها واعتبرتها غير قانونية. وقد توقفت كثير من الأعمال. وذكر الخبراء الاقتصاديون بأن إيرادات النفط والغاز قد تنخفض بمقدار 165 مليار دولار مما يجبر الحكومة على سحب مبالغ ضخمة من احتياطاتها الدولية لتمويل ميزانية الدولة التي تواجه بالفعل الآن عجزا كبيرا، ويبدو الآن أن الفرص تضاءلت أكثر من أي وقت مضى لرفع مستويات المعيشة وتحسين البنية التحتية من خلال برنامج هدفه الإسهام فيما سيخلفه بوتين من إنجازات بإنفاق قرابة 26 تريليون روبل ما يعادل 338 مليار دولار. ولدى موسكو احتياطات دولية تتجاوز 550 مليار دولار. وادعت وزارة المالية أن بإمكان روسيا أن تتحمل أسعار النفط المنخفضة لفترة طويلة. وذكر أستاذ جامعي في كلية الاقتصاد العليا بموسكو بأن معاناة الناس قد تزداد وربما يحدث شغب أو اضطراب، لكن مثل هذه الأمور لن تؤدي إلى تغييرات على الفور في النظام السياسي».

ولكنهم في تقاريرهم لم يتعرضوا لوضع روسيا في سوريا، إذ تظهر وهي مضطربة أنها لا تستطيع مواصلة عدوانها هناك إذا قام الثوار المخلصون غير المرتبطين بالدول وتوكلوا على الله وبدأوا بالهجوم على قواعد روسيا وعلى معاقل قوات النظام السوري ومناطق دعمه وتوجهوا نحو العاصمة دمشق فإن الله ناصرهم، وسيسقطون النظام وسيقيمون حكم الله متجسدا في خلافة راشدة على منهاج النبوة.

فلسطينيون يؤدون صلاة التراويح أمام الأقصى

أدى عدد من الشبان الفلسطينيين صلاة التراويح أمام أبواب المسجد الأقصى المغلقة في أزقة البلدة القديمة بالقدس، في إطار إجراءات الوقاية من جائحة كورونا. وأعلن مجلس الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية في فلسطين الخميس الماضي، استمرار تعليق صلاة الجماعة في المسجد الأقصى خلال شهر رمضان بسبب انتشار فيروس كورونا. وقال المجلس إنه "قرر وهو تعتصره الحرقة والألم تمديد قراره بتعليق حضور المصلين للصلوات من جميع أبواب المسجد الأقصى المبارك خلال شهر رمضان، وذلك تماشيا مع الفتاوى الشرعية والنصائح الطبية التي تحذر من التجمعات الكبيرة في ظل انتشار الوباء". وأضاف: "الأذان والصلاة لن ينقطعا في المسجد الأقصى خلال شهر رمضان من أئمة المسجد وموظفي الأوقاف وحراس المسجد، الذين سيبقون معمرين للمسجد ومتواجدين على رأس عملهم بإذن الله بما في ذلك صلوات التراويح والجمع والجماعة".

جميع الأنظمة في البلاد الإسلامية ومعهم السلطة الفلسطينية تصرّ على إبقاء المساجد مغلقة في رمضان وتتعامل معها تعاملها مع الشواطئ والحدائق وملاعب كرة القدم، تتعامل معها كأنها شيء ثانوي يمكن إغلاقه ولا حاجة لبذل أدنى جهد في محاولة تنظيمه! كما فعلت مع قطاعات أخرى، وهي بذلك تحاول القفز على حقيقة أن المساجد هي عصب الأمة وجزء مهم من عقيدتها وإسلامها ويحرم التهاون والتساهل في إغلاقها! ومع ذلك لم تتمكن ولن تتمكن من منع المسلمين من الصلاة ومنها التراويح. إن القضية فيما يتعلق بالمساجد ليست قضية عدم إمكانية تنظيم بل الأمر سهل ميسور، وليست نقصاً بالوسائل والأساليب بل هي موجودة ومتوفرة إذا أرادت الدول اتخاذها، بل القضية هي إهمال متعمد ومقصود لبيوت الله من أنظمة وحكومات تحارب الإسلام وأحكامه ليل نهار ومنذ عقود وهي لم تكن في يوم من الأيام حريصة على الأحكام الشرعية أو على الشعائر والعبادات بل هي تحاربها، وهذه الأنظمة تستغل حالة الطوارئ لتمرير أجنداتها وسياساتها في كافة المجالات وعلى رأسها محاربة الإسلام والمسلمين.

جولة إخبارية

احتجاجات في لبنان والحكومة تعترف بتفاقم الأزمة المعيشية للناس*

امتدت الاحتجاجات في لبنان إلى مدن أخرى ومنها العاصمة بيروت يوم الثلاثاء 2020/4/28 بعدما تفجرت في طرابلس الشام. وذكرت مصادر أمنية أن محتجا قتل في احتجاجات طرابلس، وقد أصرم المحتجون النار في عدة بنوك بالمدينة، وكذلك ألقى محتجون في مدينة صيدا قنابل حارقة على مبنى للمصرف المركزي وهم يرددون «ثورة ثورة»، ونظم محتجون مسيرة في بيروت وهم يرددون شعارات ضد البنك المركزي. ووجه رئيس الحكومة اللبنانية حسان دياب بأن «نوايا خبيثة خلف الكواليس» وقال: «نحن اليوم أمام واقع جديد، واقع الأزمة المعيشية والاجتماعية تفاقمت بسرعة قياسية، وجزء منها بفعل فاعل، خصوصا مع ارتفاع سعر صرف الدولار الأمريكي في السوق السوداء إلى مستويات قياسية». وقد فقدت الليرة نصف قيمتها منذ اندلاع الاحتجاجات في تشرين الأول الماضي.

وأعلن وزير خارجية فرنسا جان إيف لو دريان في اتصال هاتفي مع رئيس الوزراء اللبناني يوم الثلاثاء أن «باريس مستعدة لعقد اجتماع مجموعة دعم دولية للبنان بمجرد رفع قيود العزل العام الخاصة بفيروس كورونا». إذ إن فرنسا تخشى من سقوط لبنان الذي أسسته ورحيل الطغمة السياسية الفاسدة التي تتوارث العمالة للغرب المستعمر.

وقد فقد الناس قدرتهم الشرائية والبنوك مغلقة ولا تصرف للناس أموالا مع انخفاض قيمة الليرة بشكل حاد وزيادة الأسعار وارتفاع البطالة وزيادة معدلات الفقر. والدولة اللبنانية عاجزة عن أن تضع خطة لإنقاذ البلد، مع تضخم للدين العام ليبلغ 92 مليار دولار. وقد أعلن رئيس الحكومة الشهر الماضي عن عدم قدرة لبنان على سداد الدين الذي يتضاعف بالربا الحرام. فقال يوم 2020/3/7: «إن لبنان غير قادر على سداد الديون المستحقة في الظروف الحالية.. وإن الدين العام في لبنان تخطى 90 مليار دولار مما يشكل أكثر من 170٪ من الناتج المحلي الإجمالي.. لقد أصبح الدين أكبر من قدرة لبنان على تحمله وأكبر من قدرة الدائنين على تسديد فوائده (الربوية) والاقتصاد أصبح قائما على فلسفة الاستدانة.. وبحسب تقديرات البنك الدولي فإن 40٪ من اللبنانيين قد يجدون أنفسهم تحت خط الفقر».

فالدين يجعل الدولة مشغولة بالسداد ولا تنشغل بالقيام بالإنفاق على الناس ومعالجة مشاكلهم وإيجاد أعمال لهم. أي أن الدولة تعمل لحساب الدائنين الربويين وليس لحساب شعبها، وقد دفعت ربا للدائنين أكثر من 77 مليار دولار منذ عام 1993، والدين لم ينقص، بل يتضاعف.

وكل ذلك يثبت أن الدولة اللبنانية التي أقامها الاستعمار الفرنسي مشروع دولة فاشل، فالطائفية تنخر في جسمها مما يجعل البلد تتجاذبه دول عديدة فكل طائفة تنحاز لدولة، فهي مسرح للصراعات الدولية والإقليمية، فلا يوجد شيء اسمه لبنان المستقل، والقائمون على الحكم والمنخرطون في السياسة كلهم يتبعون دولا كبرى أو إقليمية، وكل ينهب ويسرق من جانبه ولا يهتم بالبلد، وأكثر ما يهتم به هو طائفته بعد نفسه وعائلته، بينما عامة الناس يعانون الأمرين؛ من ظلم الدولة وسياسييها الطائفيين، ومن الفقر وسوء الأحوال الاقتصادية... فلا حل سوى عودة البلد لحكم الإسلام الذي يقضي على الطائفية وعلى السراق المنتفعين بها، فيوزع الثروات على الناس ولا يجعلها تتركز بأيدٍ محدودة، ويوجد الأعمال للناس فيقضي على البطالة والفقر، ولا يعتمد على الاستدانة، ولا يقبل الاستدانة بالربا، ويقطع كل صلاته بصندوق النقد الدولي وكل البنوك الربوية التي تفقر البلاد، ويسخر إمكانيات البلد للإنتاج المحلي ولا يعتمد على الاستيراد.

المجلس الانتقالي الجنوبي يعلن إدارة ذاتية في جنوب اليمن وأمريكا ترفض

أعلن وزير خارجية أمريكا مايك بومبيو يوم 2020/4/28 عن قلق بلاده من إعلان المجلس الانتقالي الجنوبي الإدارة الذاتية للمناطق الخاضعة لسيطرته وقال: «مثل هذه التحركات الأحادية الجانب لا تسهم سوى في تفاقم عدم الاستقرار في اليمن.. كما أنها غير مفيدة على الأخص في وقت تتعرض فيه البلاد لخطر من مرض كوفيد19- وتهدد كذلك بتعقيد جهود المبعوث الخاص للأمم المتحدة لإحياء المفاوضات بين الحكومة والحوثيين». (رويترز، 2020/4/29) ودعا بومبيو المجلس الانتقالي إلى «الالتزام باتفاق الرياض» القاضي بتقاسم السلطة بين المجلس وحكومة هادي الذي أبرم في تشرين الثاني الماضي.

وكان المجلس الانتقالي الجنوبي المدعوم إماراتيا قد أعلن يوم 2020/4/26 عن إدارة ذاتية للمحافظات الجنوبية بما فيها عدن المقر المؤقت لحكومة هادي المعترف بها دوليا بعد سيطرة الحوثيين على صنعاء عام 2014 بمساعدة أمريكا عن طريق عميلها جمال بن عمر المبعوث الأممي السابق لليمن. فأمريكا لا تتعامل مع الحوثيين على أنهم انقلابيون ولا كونهم إرهابيين ولم تضربهم نهائيا وهم يتلقون المساعدات من إيران تحت سمعها وبصرها، فهي تعترف بهم ضمنيا وتتباحث معهم، وجرى بينها وبينهم محادثات سرية في عُمان في الأعوام التي تلت انقلابهم. وقد أعلن السفير الأمريكي في اليمن أنه يلتقي بالحوثيين. ودعت السعودية المجلس الانتقالي إلى «إلغاء أي خطوة تخالف اتفاق الرياض» ووصفته بأنه «عمل تصعيدي» كما أعلنت الوكالة السعودية.

فكان إعلان المجلس الانتقالي عن إدارة ذاتية في الجنوب عرقلة إنجليزية جديدة لخطط أمريكا للسيطرة على اليمن. إذ يتنازع الرأسماليون على الاستعمار والنفوذ. وهذا من طبيعة مبدئهم الرأسمالي النفعي الذي لا يعرف فيه الأخ أخاه فهو مستعد أن يقتله من أجل المصلحة والمنفعة. وقد أدى هذا المبدأ الشرير إلى نشوب حروب عديدة بينهم ومنها الحربان العالميتان. ولكن الحرب بينهم الآن عن طريق الأدوات العملاء المحليين والإقليميين.

لقد قامت الإمارات التي تتبع السياسة الإنجليزية بدعم المجلس الانتقالي في مواجهة الحوثيين، إذ إن الرئيس اليمني منصور هادي وهو من عملاء بريطانيا محاصر من النظام السعودي الموالي لأمريكا والذي أعلن عن تدخله في اليمن في آذار 2015 تحت مسمى عاصفة الحزم لدعم الحوثيين والحيلولة دون سقوطهم. فقد ذكر حزب التحرير في جواب سؤال أصدره أميره العالم الجليل عطاء بن خليل أبو الرشتة بتاريخ 2019/8/13 أن «بريطانيا بدأت في دفع الإمارات لتحقيق أمرين: الهدف الأول إيجاد البديل لهادي حيث إنه أسير السعودية لا حول له ولا قوة، فأرادت أن توجد لبريطانيا بديلا عن هادي في عدن بحيث يكون خاضعا لها وليس أسيرا عند السعودية.. وهكذا شكلت بريطانيا عن طريق الإمارات بديلا لحكومة هادي، وهو المجلس الانتقالي لتستعمله عندما يأتي دوره...» والآن أتى دوره ليعلن الإدارة الذاتية تمهيدا لأغراض مستقبلية لبريطانيا ضد أمريكا وعملائها الحوثيين. وختم جواب السؤال بقوله: «أما الذي يؤلم فهو أن أهل اليمن قادرون على حل قضيتهم بأنفسهم لو أخلصوا لله سبحانه وتعالى وصدقوا مع رسول الله ﷺ، فكيف يتركون أعداءنا يتولون حل قضايانا».

حفتر يدّعي تفويض الشعب الليبي له ويعلن إسقاط اتفاق الصخيرات

ادّعى حفتر عميل أمريكا في ليبيا يوم 2020/4/26 أن الشعب فوضه بإدارة البلاد. فقال من خلال شاشة تلفزيون تابع له في شرق ليبيا: "نعتز بتفويض الليبيين القيادة العامة لهذه المهمة التاريخية في هذه الظروف الاستثنائية، لإيقاف العمل بالاتفاق السياسي ليصبح جزءا من الماضي"، أي أنه يعلن إسقاط اتفاق الصخيرات الذي فرضته بريطانيا عام 2015 وقد أبعد حفتر بموجبه من تسلم قيادة الجيش الليبي وجعلت هذه القيادة بيد رئيس المجلس الرئاسي الذي يقوده السراج عميل بريطانيا.

فحفتر يقلد السيسي في مصر عندما رسمت له أمريكا خطة الانقلاب على الرئيس المنتخب مرسي فادّعى أنه أخذ تفويضا من المصريين بإدارة البلاد. علما أن حفتر حاول أكثر من مرة منذ عام 2014 أن يسيطر على الحكم فشل. وهو من زملاء القذافي وأمثاله في الإجرام والعمالة. ولكنه باع نفسه لأمريكا عام 1990 ورحّلته من تشاد إلى أراضيها ليمكث فيها نحو عشرين عاما. وعاد بعد ثورة الشعب الليبي على القذافي عام 2011 ولكن الشعب رفضه، فبدأت أمريكا تدعمه عن طريق عملائها في مصر والسعودية والسودان ومن ثم عن طريق روسيا، فبهذا الدعم سيطر على مناطق في شرق وجنوب ليبيا وحاول السيطرة على العاصمة طرابلس التي تسيطر عليها حكومة الوفاق برئاسة السراج، ولكنه صد عنها وتلقى مؤخرا هزائم فيها.

وقد أعلنت فرنسا يوم 2020/4/28 رفضها لخطوة حفتر فقال المتحدث باسم وزارة خارجيتها: "لا يمكن التوصل لحل الصراع الليبي إلا من خلال الحوار بين الأطراف تحت رعاية الأمم المتحدة وليس من خلال القرارات المنفردة.. لا يوجد بديل للحل السياسي الشامل كجزء من النتائج التي توصل إليها مؤتمر برلين، وإن فرنسا مهتمة بوحدة ليبيا واستقرارها" (رويترز، 2020/4/28) وذلك كتعبير عن رفض أوروبا لزعامة حفتر لبسط النفوذ الأمريكي في ليبيا. حيث إن الصراع في ليبيا بين المستعمرين الجدد الأمريكان والمستعمرين القديمين الأوروبيين. وقد عبر عن ذلك عقيلة صالح رئيس البرلمان الليبي الواقع تحت سيطرة حفتر في طبرق قائلا: "إن قضية ليبيا مرتبطة بشكل كبير بالمجتمع الدولي، وإن الأزمة الليبية في يد المجتمع الدولي" (قناة الحرة الأمريكية، 2020/4/29) ويعني بالمجتمع الدولي الدول الكبرى وخاصة أمريكا وأوروبا. والجدير بالذكر أن حفتر أعلن عن أنه مفوض لإدارة البلاد بعد ساعة أو أقل من اقتراح عقيلة صالح مبادرة جديدة للحل السياسي في ليبيا داعيا إلى تشكيل مجلس رئاسي منتخب من قبل الأقاليم الثلاثة. إذ أعلن يوم 2020/4/23 أن "الحوار السياسي فشل وأن مجلسي النواب والدولة لم ولن يتوصلا إلى حل الأزمة الليبية بسبب تعارض المصالح.. وإن عددا منهم يريدون استمرار الفوضى لأنهم يعرفون أنه إذا ما استقرت البلاد وتوحدت مؤسساتها سيتوقف ما يجنونه من ثمار الفوضى واستمرار الصراع". (الوسط الليبية، 2020/4/23).

وكان الأحرى أن يعلن عقيلة صالح مبادرة على أساس الإسلام دين أهل ليبيا لو كان يعقل! وهو يرى مدى الفساد المستشري في ليبيا ومدى سيطرة الدول الكبرى ولعبها فيه وفشل مبادراتها وأفكارها، لا أن يأتي بمبادرة لن تأتي بجديد، فالمسألة ليست بالأشخاص الفاسدين فقط وهم السياسيون والعسكريون في كلا الطرفين وإنما بالفكر الذي يجب أن يرتكز إليه النظام ويوضع على أساسه الدستور وترعى به شؤون الناس، ولا يصلح لذلك غير الإسلام ولن تتحرر ليبيا من سيطرة ما يسمى بالمجتمع الدولي إلا بالإسلام الذي يتجسد في دولة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة.

الإعلام المضلل يواصل بث سمومه

مسلمة الشامي

الخبر:

نشرت قنوات فضائية تقارير عن مسلسلات رمضانية، خاصة ما يتعلق بالتطبيع والعلاقات العادية المتنوعة مع كيان يهود... وكذلك التعايش السلمي معه.

التعليق:

يقول المؤلف الأمريكي هربرت شيللر، الذي كان أستاذاً لمادة «وسائل الاتصال» بجامعة كاليفورنيا وغيرها من الجامعات في مقدمة كتابه «المتلاعبون بالعقول» والذي عنوان الفصل الأول فيه «التضليل الإعلامي والوعي المعلب»: «يقوم مديرو أجهزة الإعلام في أمريكا بوضع أسس لعملية تداول الصور والمعلومات، ويشرفون على معالجتها، وتنقيحها، وإحكام السيطرة عليها. تلك الصور والمعلومات التي تُحدّد معتقداتِنا، ومواقفَنا، بل وتحدّد سلوكنا في النهاية. وعندما يعمد مديرو أجهزة الإعلام إلى طرح أفكار وتوجّهات لا تتطابق مع حقائق الوجود الاجتماعي فإنهم يتحوّلون إلى سائسي عقول».

إذن تضليل عقول البشر يمثل إحدى الأدوات التي تسعى الأنظمة من خلالها إلى تطويع الجماهير لأهدافها الخاصة. ولوسائل الإعلام دور رئيسي ومهم في هذه اللعبة القذرة، خاصة في بلادنا المنهكة بالجهل وانعدام الوعي. هذا أسلوب واحد من عدد كبير من الأساليب التي تجعلك لا ترى إلا ما أريد أنا. وهو أسلوب قوي في قيادة الآخرين والرأي العام من خلال وضع خيارات وهمية تقيد تفكير الطرف الآخر. وهكذا الإعلام دائماً ما يضع الحدث في إطار يدعم به القضية التي يريدها.

ودور الدراما التلفزيونية أو ما يسمى بالمسلسلات خاصة مسلسلات رمضان التي تحقق نسبة مشاهدة عالية واضح وجليّ في غرس المفاهيم والأفكار والسلوكيات عند المشاهد. وعملها هذا ممنهج ومنسق منذ سنوات وسنوات لتنفيذ خطة وتحقيق أهداف وضعتها الصهيونية مع عملائها من حكام ومتنفذين وعلى رأسها قناة إم بي سي التي تبث تلك السموم بمختلف أشكالها وألوانها ومسمياتها وبرامجها... وذلك تماشيا مع سياسة التخاذل والخيانة لله ورسوله ودينه من الأنظمة والحكام، وتنفيذا لسياسات صفقة القرن خاصة فيما يتعلق بقضية الأرض المباركة فلسطين.

فتطل علينا مسلسلات تُظهر إمكانية التعايش السلمي مع اليهود والنصارى مثل المسلسل الخليجي «أم هارون»، وفي حلقاته الأولى ذكر أنه «تم الإعلان عن إقامة دولة (إسرائيل) في مدينة تل أبيب عقب انتهاء الانتداب البريطاني على (أرض إسرائيل)» وليس على أرض فلسطين.

وهذه كذلك دراما سعودية رمضانية تحاول إبراز التغييرات الكبيرة والانفتاح داخل المملكة بعد وصول محمد بن سلمان لولاية العهد، مثل تمكين المرأة، والاحتفال بما يسمى «الفالنتاين»، وسياسة التطبيع مع كيان يهود.

هذه الدراما التلفزيونية تبث رسائل مسمومة حول التطبيع الذي أصبح عندهم «وجهة نظر». ومن ضمن تلك الرسائل الترويج لاغتصاب يهود للأرض المباركة فلسطين وأن كيانهم هو حقيقة ودولة موجودة لها الحق في فلسطين مما يشوه الحق الإسلامي فيها.. ومنها استهداف الأطفال في زرع مفاهيم التخاذل والتطبيع وقبول العدو. والحبل على الجرار في بقية حلقات هذا المسلسل وغيره من أفكار ورسائل مسمومة.

نسأل الله تعالى أن يعجل بالفرج وبدولة الخلافة التي ستتولى أمور الإعلام وشؤونهم بما يرضي الله ويفيد العباد.

الأطباء ينصحون بفتح بيوت الله والطواغيت مصرون على إغلاقها

محمد أبو هشام

الخبر:

نشر موقع الوكيل الإخباري يوم الثلاثاء الموافق 2020/4/28 أن نقيب الأطباء في الأردن الدكتور علي العبوس قد أكد أنه لم يعد هناك داع لإغلاق المساجد مشيرا إلى ضرورة إسراع وزير الأوقاف بإصدار قرار حول ذلك، وأضاف العبوس أنه لا يوجد مبرر طبي على إبقاء المساجد مغلقة مبينا أن الإجراءات الحكومية الحازمة أدت إلى السيطرة على انتشار فيروس كورونا، وقال العبوس إن الوضع الوبائي في المملكة أصبح مطمئنا ولا داعي لإغلاق المساجد.

التعليق:

عندما قام الرويبضات حكام المسلمين بإغلاق المساجد عللوا الأمر أنه لحماية الناس، وخوفا من انتشار فيروس كورونا وبالتالي نقل العدوى إلى الكثير من الناس الموجودين في المساجد، وصدق البعض كلامهم، مع أن المشاهد المحسوس أن هذه الأنظمة العفنة قتلت من شعوبها أضعاف أضعاف ما قتل فيروس كورونا، وماضيها وحاضرها يثبتان وبشكل قطعي أنها لم تفكر يوما في شعوبها ولم تفكر قط بحسن رعايتها لها، بل هي من قهرتها وأذلتها ودمرتها وجعلتها تعيش فقرا مدقعا، في حين إن هذه الأنظمة ووزراءها يعيشون حياة البذخ والثراء الفاحش، فالسلطة الفلسطينية على سبيل المثال وعلى لسان رئيس وزرائها محمد اشتية تطالب بقطع جزء من رواتب الموظفين من أجل المساعدة في محاربة فيروس كورونا وفي الوقت نفسه انتشرت أخبار بأن السلطة ستقوم برفع معاشات وزرائها!

وعودا إلى موضوع إغلاق المساجد، فالمفروض أن الأنظمة بعد أن أغلقت المساجد لفترة طويلة وارتكبت بهذا كبيرة من الكبائر، لأن المساجد لا يجوز أن تغلق، فهي بيوت الله وليست ملكا للطواغيت، فالمفروض أن ترجع إلى أهل الاختصاص كالأطباء مثلا، لمعرفة إن كان الفيروس ما زال يشكل خطراً أم لا، ولكنها لم تفعل، فها هم أهل الاختصاص مثل نقيب الأطباء العبوس ينصحون حكوماتهم بفتح المساجد لأنه لم يعد هناك أي داع لإغلاقها، ومع ذلك يصر الرويبضات على إبقاء بيوت الله مغلقة ويساندهم في ذلك علماء السلاطين الذين باعوا آخرتهم بدنيا حكامهم، فيكذبون ويلبسون الحق بالباطل لتمرير ما يريده الطواغيت، وهذه السياسة بلا شك هي حرب واضحة على الإسلام، وما يدل على أنها حرب واضحة على الإسلام أنهم فتحوا كل الأماكن التي تحصل فيها تجمعات دون أن يحسبوا حسابا للعدوى، بل إن الحكومة اللبنانية قررت مؤخرا فتح البارات والنوادي الليلية وأبقت على المساجد مغلقة!

إن الواجب على المسلمين في كل مكان أن يقفوا في وجه هؤلاء الطواغيت وأن يفضحوا سياساتهم المعادية للإسلام، وأن يوجدوا رأيا عاما قويا من أجل إعادة فتح بيوت الله، أما إن تساهلوا في ذلك فستكون فرصة ذهبية لهؤلاء الطواغيت في تحقيق أهدافهم الخبيثة.

مقياس الخير والشر في الأفعال

حسن عمور

يقدم الناس على ما يرونه خيرا ويمتنعون عن القيام بالعمل إن ظنوا أنه شر. ولبعدنا عن تعاليم القرآن وعن تربية القرآن وتأثُرِنا بالثقافة الغربية، فإن ما يحقق نفعا لنا نصف بالخير وما يلحقنا منه ضرر نصفه بالشر. فهل النفعية هي المقياس الصحيح للإقدام على الفعل؟ قال تعالى في سورة البقرة: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)، هذا عن القتال الذي في طبيعته هو كره للإنسان وهو عند الله خير عظيم. كذلك فإنهم رأوا أن البيع مثل الربا فأعلمهم الله أن البيع حلال والربا حرام وأنهما أمران مختلفان.

فقد يرى العقل البشري أمراً يظن خيراً فيه وهو عند الله شر، وقد يرى أمراً يظن فيه نفعاً وهو عند الله إثم وضر. ووصف الحسن والقبح أو الحلال والحرام هو حق الله وحده، وليس حسب ما يراه العقل من نفع أو ضر، أو خير أو شر، لأن الإنسان إن فعل ذلك يكون قد جعل إلهه عقله وهواه وهذا مذموم منهي عنه, قال تعالى: (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه، وأضله الله على علم، وختم على سمعه وقلبه، وجعل على بصره غشاوة فمنْ يهديه من بعد الله، أفلا تذكرون). فوصْفُ الإنسان للعمل بالخير أو الشر بناءً على النفع أو الضرر الذي يصيبه من جرّاء القيام به، وصفٌ غير صحيح وغير ثابت، لأنه آتٍ من البشر مما يسبب الاختلاف والاضطراب في الحكم على الأفعال، فما يراه أحدهم خيرا يراه الآخر شرا. لهذا فلا استغراب في دول الغرب من تشريع كل الموبقات من ربا وزنا ولواط وسحاق وزواج المثليين وخمر ومخدرات... ناهيك عن الاضطراب والتناقض في وصف الأفعال، فما كانوا يعتبرونه في الماضي قبيحا كاللواط والسحاق والمخدرات باتوا يرونه سلوكاً طبيعياً مقبولاً، بل إنهم أصبحوا يعاقبون من يرفض وينتقد اللواط باعتبار ذلك من الحقوق الفردية للإنسان.

لهذا فالخير ليس ما يراه الإنسان نافعا، والشر ليس ما يراه ضارا، وإنما الذي يحدد ذلك وينبني عليه السلوك هو عقيدة الإنسان فالعقيدة الإسلامية بوصفها الإنسان عبدا لله جعلت أفعاله من حيث الخير والشر تدور مع أوامر الله ونواهيه، فما يرضي الله هو الخير وما يسخط الله هو الشر. فالمسلم يقدم على ما يرضي الله لا على ما يظنه نافعاً له وإن لحقه منه ضرر وعنت، ويمتنع ويحجم عن ما يسخط الله لا على ما يظنه شرا له وإن لحقه من الإتيان به نفع، وهو في كل هذا يرجو رضوان الله ويطلب الفلاح الأخروي. يقول تعالى: (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا، وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا، وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا).

مناعة القطيع؛ خيار ثقافي أم إجراء علمي في مواجهة كورونا؟

بقلم: الأستاذ مناجي محمد

أثار مصطلح مناعة القطيع كثيرا من اللغط والجدل والتجاذب الفكري والسياسي. بداية وجب القول إن المصطلح والاستعارة في الفكر الفلسفي والسياسي ليسا البتة تركيبا لفظيا لجمالية اللغة والأسلوب ولا صقلا بيانيا ولا حتى إنشاء بلاغيا، بل للمصطلح المستعار واقع ذهني وسبب وغاية يسعى المفكر والفيلسوف والسياسي لترجمتها في التفكير والواقع.

والأخطر في هكذا استعارات هو ما تخفيه من مضامين فكرية وسياسية. ومصطلح مناعة القطيع الذي يعنينا هنا هو من هذا القبيل، فهو ليس مصطلحا مصمتا محايدا بريئا، بل هو مصطلح مثقل مثخن بالحمولة الثقافية لصاحبه، ولما كان مصطلح مناعة القطيع منتجا غربيا، استحال توليد معرفة جادة بشأنه دون معرفة البذور والجذور الفكرية التي أنبتته.

أما تحميل المصطلح دلالة علمية خالصة فهو من باب اختلاس النظر، فيبصر الجزء ويبني عليه التصور الكلي، فتوحي لك المناعة بشرائط التجربة وتحاليل المختبر، والتركيب هنا مانع، فمناعة القطيع هي خيار سياسي. والسياسة في طبعها الأصيل ثقافة تستبطن عقائد وأفكارا وآراء ثقافية، فالسياسة ما كانت يوما ما صناعة مخبرية ولا إنتاجا معمليا، بل صياغة ثقافية لقوانين وأحكام مستنبطة من مصادرها الثقافية تم تصييرها سياسات.

فمصطلح مناعة القطيع مثقل ومثخن إلى أبعد الحدود وأقصى المسافات بالداروينية السياسية والاجتماعية في الفكر الغربي، وتجد صداها في أفكار داروين وأفكار مالتوس التي حواها كتابه «بحث في مبدأ السكان» وفي آراء جيمس ستيوارت وفي نظرية السكان لكانتيلون، وغيرهم من منظري ومؤسسي الفكر الغربي.

فمناعة القطيع هي ترجمة عملية للمفهوم الفلسفي المادي في الفكر الغربي «البقاء للأقوى». تقترح نظرية مناعة القطيع أنه في حالة الأمراض المعدية التي تنتقل من فرد إلى فرد، فإن إعاقة سلسلة العدوى تكون بانتشار الفيروس عن طريق العدوى واكتساب مناعة جماعية ضد الفيروس. أما الشيء المسكوت عنه هو أنه لتحقيق مناعة القطيع هذه سيموت ما معدله 10٪ إلى 20٪ من القطيع لضعف مناعتهم. أي مضمونها الثقافي المستبطن أن نترك الشياه وشأنها ترتع وتقاوم قدرها المادي الفيروسي حتى يتم ذاك الفرز المادي الطبيعي بناء على القانون المادي الطبيعي «البقاء للأقوى»، ولا ضير من تغليف الأمر بشيء من الزيف الإنساني فالميكافيلية هي صلاة السياسيين الغربيين. فخطاب بوريس جونسون رئيس الوزراء البريطاني: «عائلات كثيرة وكثيرة جدا ستفقد أحباءها سيفقدون قبل أن يحين موعدهم» هو من باب الميكافيلية السياسية لإعداد الرأي العام لتقبل هكذا سياسة.

وعليه فالمرجعية الثقافية هي الحاكمة في هكذا سياسات وفي هكذا مصطلحات، فالنظرة المادية في الفكر الغربي تستتبعها قائمتها الخاصة بها من المعتقدات والأفكار والآراء التي تتلاءم وتتجانس معها والتي لا يمكن للإنسان الغربي العلماني المادي الانسلاخ منها، فهي كانت وستبقى قبل كورونا وبعدها، بل قبل طب الطبيب وهندسة المهندس. فهذا الطبيب الألماني بول إرليخ الحائز على جائزة نوبل في الطب سنة 1908 عن أبحاثه في المناعة الذاتية، يحث الحكومات على تقليص تمويل برامج الحد من الوفيات في مؤلفه «القنبلة السكانية»، أي بمادية صماء صارمة اتركوا الناس تموت للحد من هذا الكم السكاني. أي خلف ذاك الرنين والطنين العلمي القريب الخفيف لسماعة الطبيب هناك الصوت الثقافي البعيد العميق لداروين ومالتوس وكانتيلون و... وهذا الأخير هو الأبلغ أثرا والأفعل سلوكا.

فالداروينية والمالتوسية هي منشئة ومؤسسة وبانية للفكر الغربي المعاصر ومتجذرة في السياسات الغربية المعاصرة. فقانون التعقيم (منع الإنجاب) في الولايات المتحدة لسنة 1927 كان مصدر إلهام للنازيين في سن قانونهم الخاص بهم للتعقيم سنة 1933. وفي سبعينات القرن الماضي تم إجبار السود والهنود الحمر في أمريكا على التعقيم القسري وتم تغليفه بإجراء طبي، وفي اعتراف القاضي الفيدرالي الأمريكي جيرهالد جيل في عام 1972 في قضية التعقيم القسري للفقراء جاء فيه «على مدى السنوات القليلة الماضية قامت الدولة والهيئات والوكالات الفيدرالية بتعقيم ما بين 100 ألف إلى 150 ألف شخص من متدني الدخل الفقراء».

وبناء عليه فمناعة القطيع هي النتاج المادي الطبيعي للنظرة الفلسفية المادية وأسسها الداروينية والمالتوسية في الفكر الغربي. فمناعة القطيع فيروس من الفيروسات الفكرية التي أنتجتها حاضنات البعوض الثقافي الغربي، هذا الأخير الذي ما كان لبذره وبيضه أن يتخلق وينمو إلا في المستنقع الحضاري الغربي. وعليه وحتى يتم التخلص من هكذا فيروسات فكرية وجب التخلص من البعوض الثقافي الغربي، ولإنهاء المشكل من جذوره لا يكفي قتل هكذا بعوض ثقافي بل يجب تجفيف المستنقع، أي اقتلاع حضارة الغرب من جذورها فهي قاع المستنقع ومنبع القذارة، ثم تطهير البشرية من هكذا نجس ورجس حضاري بحضارة الإسلام العظيم وبلسمها السياسي خلافتها الراشدة على منهاج النبوة. وإن الزمان قد استدار وما إدبار ليل الغرب وإقبال فجر الإسلام إلا صبر هنيهة من عجلة، [وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ].

محرقة اليمن تحصد الشباب في حرب عبثية

إبراهيم عثمان (أبو خليل)
الناطق الرسمي لحزب التحرير في ولاية السودان

الخبر:

لقي ما لا يقل عن 16 من قوات الدعم السريع مصرعهم وجرح 67 آخرون في اشتباكات مع الحوثيين على الحدود السعودية اليمنية (قطاع نجران) اليوم الجمعة 2020/05/01م. (شبكة السودان نيوز)

التعليق:

منذ أن اندلعت الحرب اللعينة في اليمن بين ما يسمى بالتحالف (عاصفة الحزم) والحوثيين، وهي تحصد شباب المسلمين من الجانبين في حرب عبثية الخاسر فيها أبناء المسلمين والمستفيد الأول هو الغرب اللعين الذي يذكي نار هذه الحرب التي يتقاتل فيها المسلمون مع بعضهم بعضاً تحت مسميات شتى ولكن المحصلة واحدة وهي خراب بلد من بلاد المسلمين هو اليمن وإهدار ثروات المسلمين وأموالهم في الخليج، فالسعودية التي تدعي الحرب ضد الحوثيين بالاشتراك مع الإمارات إنما تنفذ أجندة أمريكا في اليمن لتمكن للحوثيين التابعين لأمريكا من اليمن. حيث إن اليمن وسطه السياسي وولاؤه للإنجليز.

أما اشتراك السودان بقوات الدعم السريع إلى جانب السعودية فهو أيضا سيناريو أمريكي حيث إن النظام البائد في السودان كان عميلاً خالصاً لأمريكا وبالتالي ساهم بهذه القوات في هذه المحرقة، والغريب أن أحزاب المعارضة آنذاك والتي تتبع في أغلبها لأوروبا وبخاصة بريطانيا والتي أصبحت الآن أحزاب الحكومة الانتقالية كانت تطالب بعودة المقاتلين من أبناء السودان فوراً وتصفهم بالمرتزقة ولكن عندما آلت إليها السلطة بعد الثورة الشعبية لم تستطع أن تنفذ ما كانت تطالب به سابقاً لأن العسكر التابع لأمريكا ما زال هو المسيطر الحقيقي على مقاليد الأمور في السودان بل إن قائد الدعم السريع صار الرجل الثاني

في الحكومة السودانية اليوم وله نفوذ واسع ولذلك سكتت أحزاب قوى الحرية والتغيير، أي المكون المدني للحكومة الانتقالية، صمتت عن المطالبة بعودة المقاتلين من قوات الدعم السريع إلى السودان.

ولن تتوقف هذه الحرب العبثية إلا بقيام الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة التي ستقطع يد أمريكا وأشياعها وأتباعها وغيرهم وتوحد بلاد المسلمين تحت راية الإسلام وتقود المقاتلين في كل مكان للجهاد في سبيل الله وإعلاء راية لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

جواب سؤال

أزمة النفط وتداعياتها

السؤال:

تناولت الأخبار الانخفاض المفاجئ في سعر النفط وخاصة نفط تكساس حتى وصل إلى نحو 30 تحت الصفر، حتى إن خام برنت المشهور بتداوله المنتظم انخفض نحو 9٪ ليصبح 25 دولاراً للبرميل... وتنوعت الأسباب، سواء أكان ذلك لأن الخزانات للبترول أصبحت مملوءة تماماً بل تكاد تفيض، أم كان ذلك بتأثير فيروس كورونا بحيث أدى إلى انخفاض الاقتصاد ومن ثم انخفاض الطلب على البترول... إلخ، فما هي أسباب أزمة النفط هذه؟ وهل هي مستمرة؟ وكيف تؤثر على الاقتصاد الأمريكي والعالمي؟

الجواب:

لإدراك حقيقة أزمة النفط بعامة والنفط الأمريكي (غرب تكساس) بخاصة وتأثيرها على الاقتصاد الأمريكي والعالمي، لا بد من معرفة ثلاثة ظروف اقتصادية وسياسية وتأثيرها الخاص بنفط تكساس، ثم امتداد تأثيرها إلى نفط برنت ثم على الاقتصاد الأمريكي والعالمي:

أولاً: تأثير فيروس كورونا على استهلاك النفط:

منذ بداية هذا العام حيث انتشار فيروس كورونا بدءاً من الصين ثم انتقاله إلى أوروبا وبعدها إلى أمريكا، ثم ما رافق ذلك من فرض إجراءات الحجر الصحي وتوقف الكثير من قطاعات الاقتصاد في كل بلد، وكذلك حالة الشلل التي أصابت حركة الطيران بسبب حظر السفر بين الكثير من البلدان الرئيسية خاصة أوروبا وأمريكا مخافة انتقال العدوى، يضاف إلى ذلك الارتباك الهائل في التجارة الدولية الناتج عن توقف الطلب بشكل حاد على السلع غير الغذائية والطبية، ومن ثم أثر على حركة النقل... علماً بأن النقل البري والنقل الجوي يستهلكان 68٪ من المعروض النفطي (إندبندنت عربي، 2020/4/24)، وكل هذا أدى إلى أن يصاب الطلب العالمي على النفط بنكسة كبيرة بسبب كورونا، وكانت هذه النكسة تتعمق أكثر فأكثر مع زيادة تفشي الوباء من بلد لآخر، حيث يرافق تفشي الوباء شلل قطاعات الاقتصاد في كل بلد ينتقل إليه الوباء، لكن علاقة ذلك بالنفط كانت متفاوتةً، فلما انتقل الوباء إلى دول أوروبا الغربية الرئيسية تسبب في انخفاض حاد في الطلب العالمي على النفط، كون هذه الدول مستهلكاً كبيراً للنفط، ولما انتقل الوباء إلى أمريكا وبشكل حاد، وهي التي تستهلك 20٪ من النفط العالمي، فقد صارت أزمة أسعار النفط وبشكل حاد تتراءى من قريب. ومن ناحية رقمية فإن الطلب على النفط قد انهار بنسبة 30٪ تقريباً في عالم يستهلك قرابة 100 مليون برميل يومياً، ونأخذ تصريحين فقط من جملة التصريحات التي تؤكد هذا الانهيار في الطلب:

1- التصريح الأول: (توقعت وكالة الطاقة الدولية اليوم الأربعاء 2020/4/15 أن ينخفض الطلب العالمي على النفط بمقدار 29 مليون برميل يوميا على أساس سنوي في نيسان/أبريل، ليسجل مستويات لم يشهدها منذ 25 عاما... موقع صحيفة الوفد في 2020/4/15).

2- التصريح الثاني: (أعلن وزير الطاقة الروسي ألكسندر نوفاك، أن الطلب العالمي على النفط انخفض 30-20 مليون برميل يوميا، قائلا: «بلغنا قاع انخفاض الطلب العالمي على النفط الآن». العربية نت، 2020/4/22).

وهكذا انهار الطلب على النفط بنسبة لم تكن متصورة إلا في ظروف الحروب العالمية! وكل هذا حصل في فترة (4-3 شهور) أي خلال أزمة كورونا، حتى وصل نفط تكساس القاع السحيق أي نحو 37 تحت الصفر وذلك يوم 2020/4/20م الذي أُطلق عليه «الاثنين الأسود».

ثانياً: الظرف الثاني، وهو الظرف السياسي:

لما كان النفط سلعة استراتيجية فإن الدول تستخدمه لضرب دول أخرى، والحديث هنا عن السياسة الأمريكية التي دفعت بالسعودية باتجاه حرب أسعار النفط مع روسيا قبل شهر واحد فقط، وبيان ذلك على النحو التالي:

1- كانت أمريكا تجبر روسيا على خفض إنتاجها النفطي للحفاظ على أسعار عالية للنفط حتى تتمكن شركات النفط الصخري الأمريكية من المنافسة في الأسواق، لأن استخراج النفط الصخري الأمريكي مكلف للغاية، وخلال هذه السياسة نجحت السعودية عبر 3 سنوات من حمل روسيا على مشاركة أوبك خفض الإنتاج ضمن المجموعة الجديدة التي عرفت بـ«أوبك بلس» بمقدار 2.1 مليون برميل يومياً. وكان هذا الاتفاق السعودي المبرم مع روسيا ينتهي بنهاية آذار/مارس 2020. فكان اتفاقاً قبل انتشار كورونا، وتزامنت نهايته مع تفشي كورونا.

2- ومع انتشار فيروس كورونا في الصين وبداية انتقاله إلى إيطاليا وتفشيه فيها، أخذت أسعار النفط تنهار ووصلت 45 دولاراً للبرميل (برنت)، وهذا المستوى السعري والمستمر في الانخفاض خطر لمنتجي النفط الأمريكي ويهدد بإخراجهم من السوق، ولا بد من رفع السعر. وعندها دفعت أمريكا السعودية لممارسة ضغط على روسيا لمزيد من خفض الإنتاج لمواجهة التدني المستمر للطلب العالمي على النفط بسبب الفيروس، فكان اجتماع أوبك بلس 2020/3/6 حين رفضت روسيا أي خفض إضافي في الإنتاج خشية تعويض أمريكا للتخفيض بالنفط الصخري.

3- بفشل اجتماع «أوبك بلس» المذكور انهارت أسعار النفط فوراً بمقدار 10٪ بسبب انتشار خبر اختلاف مجموعة أوبك بلس.

4- وأشعلت السعودية بعد فشل الاجتماع بأيام قليلة حرب أسعار ضد روسيا لإجبارها على الخفض الجديد بخمس خطوات:

أ- الخطوة الأولى تخليها عن الاتفاق الأول (خفض 2.1 مليون برميل) رغم إعلان روسيا التزامها بهذا الاتفاق السابق،

ب- والخطوة الثانية زيادة هائلة في إنتاجها للنفط بدءاً من 1 نيسان/أبريل (موعد انتهاء اتفاق الخفض الأول مع روسيا) تصل إلى 13-12 مليون برميل يومياً رغم مشاكل الطلب العالمي على النفط بسبب كورونا،

ج- تخفيض لعملائها الآسيويين بمقدار 6 دولارات للبرميل، هو الأول في التاريخ بهذا المستوى من الخصم،

د- تقصد التخفيض والمزيد منه للعملاء المتعاملين مع النفط الروسي لأخذ حصة روسيا من السوق،

ه- استئجار ناقلات نفط عملاقة لاستخدامها كخزانات عائمة في البحر زيادةً في إغراق السوق بالتخمة النفطية،

5- وبهذه الخطوات من السعودية التي تم الإعلان عنها في الأيام القليلة التي تلت 2020/3/6 (اجتماع أوبك بلس الفاشل) فقد انهارت أسعار النفط بنسبة الثلث (فقدت أسعار النفط ما يصل إلى ثلث قيمتها يوم الاثنين في أكبر خسائرها اليومية منذ حرب الخليج عام 1991 بعد أن أشارت السعودية إلى أنها سترفع الإنتاج لزيادة الحصة السوقية فيما يتسبب تفشي فيروس كورونا بالفعل في فائض بالإمدادات في السوق! ومن ثم تراجعت العقود الآجلة لخام برنت 22 بالمئة عند 37.05 دولاراً للبرميل بعد أن نزلت في وقت سابق 31 بالمئة إلى 31.02 دولاراً للبرميل وهو أدنى مستوى منذ 12 شباط/فبراير 2016... رويترز 2020/3/9) علماً بأن خام برنت (Brent Crude) يتم استخراجه من حقول النفط في بحر الشمال، و«خام برنت» هو مزيج من زيوت خام -برنت، فورتيز، أوزبيرج، وإيكو فيسك، وهو يستخدم كمعيار لتسعير ثلثي إنتاج النفط العالمي، خاصة في الأسواق الأوروبية والأفريقية... ويصدر أحيانا إلى الولايات المتحدة وبعض الدول الأفريقية، إذا كان السعر مناسباً بعد الأخذ في الاعتبار تكاليف الشحن. ويتم تداول العقود الآجلة لخام برنت عبر بورصة إنتركونتيننتال (ICE) في لندن، أي أن السعودية بخطواتها تلك قد دفعت أسعار النفط للنزول، وبعد 1 نيسان/أبريل حيث أخذت الخطوات السعودية توضع قيد التنفيذ، بعد أن انتهى اتفاق «أوبك بلس» مع روسيا بنهاية آذار/مارس، فإن التخمة النفطية قد صارت تلحظ في السوق بما دفع أسعار النفط (قياساً ببرنت) إلى ما دون 30 دولاراً خلال شهر 4 (نيسان) وقبل 2020/4/20م.

6- لقد كانت هذه السياسة السعودية هي سياسة أمريكية للضغط على روسيا، ولكنها كانت سياسة تم رسمها في واشنطن قبل حوالي الشهرين تقريباً، أي قبل أن تتراءى الأبعاد الجديدة لانهيار

الطلب على النفط بسبب استمرار تفشي كورونا وبحدة، خاصة داخل أمريكا، وبنتيجة هذين العاملين (السياسة السعودية المدفوعة أمريكياً، والزيادة الحادة في انهيار الطلب على النفط) فإن معول الهدم الذي صنعته إدارة ترامب ليضرب روسيا قد صار يضرب يميناً وشمالاً بما لا يستثني شركاتها للنفط الصخري! بمعنى أن ما خططت له أمريكا من خفض لأسعار النفط لم يكن يتوقع له أن يبلغ هذا القاع. وأن هذا القاع كان ناجماً عن العاملين معاً: السياسة الأمريكية (السعودية) ضد روسيا، وكذلك الانهيار المستمر في الطلب العالمي على النفط، ذلك الانهيار الذي لم يكن منظوراً بهذا القدر عند وضع السياسة الأمريكية تلك. وأخذ الضغط يشتد داخل أمريكا على شركات النفط الصخري، وأعلنت شركة «ويتينغ بترواليم» في 2 نيسان/أبريل إفلاسها، ووقفت مئة من شركات النفط الصخري على حافة الإفلاس، وذلك أن أسعار النفط في السوق أقل من أسعار تكلفة الإنتاج: (حيث تبلغ التكلفة الحدية للبرميل الصخري نحو 35 دولاراً للبرميل. موقع الأسواق العربية، 2020/3/11) وبحسب إندبندنت عربي، 2020/4/24 فإن العقود الآجلة لنفط غرب تكساس قد تراوحت يوم الخميس 4/23 بين 15 دولاراً تسليم حزيران/يونيو، وقرابة 27 دولاراً تسليم أيلول/سبتمبر، وكانت كافة العقود الآجلة حتى نهاية 2020 تحت سعر 30 دولاراً وهذا يشكل ضغطاً على النفط الصخري...

-7 لهذه الظروف الخطيرة التي تمر بها صناعة النفط الأمريكية بسبب تفشي وباء كورونا فقد كثرت إعلانات الإدارة الأمريكية عن عزمها التدخل بين روسيا والسعودية للعودة إلى خفض الإنتاج، وقام الرئيس الأمريكي بالاتصال بالرئيس الروسي الذي سال لعابه لعودة الاتصالات مع أمريكا وطمع بالتنسيق معها (وليس مع السعودية) بخصوص أسعار النفط، كما اتصل ترامب بالسعودية. وقال ترامب (أجرينا حواراً ممتازاً مع الرئيس بوتين. أجرينا حواراً ممتازاً مع وليّ العهد. يورونيوز، 2020/4/1). وبالمجمل يمكن القول بأن إدارة ترامب قد رعت اتفاقاً روسياً سعودياً لخفض في إنتاج النفط، هو الأكبر في التاريخ بنحو 10 ملايين برميل نفط يومياً: (توصل أعضاء منظمة الدول المنتجة للنفط (أوبك) وحلفاؤهم إلى اتفاق قياسي لخفض الإنتاج العالمي للنفط بنسبة 10 في المئة بعد انخفاض الطلب... وما تأكد حتى الآن هو أن أوبك وحلفاءها سيخفضون الإنتاج بمقدار 9.7 مليون برميل يوميا. بي بي سي، 2020/4/12). وهذا الاتفاق يبدأ تنفيذه في 2020/5/1 ويستمر لمدة شهرين، تنظر بعدها الدول الموقعة عليه في واقع الطلب العالمي من جديد لتقرير الخطوة التالية. فهو اتفاق قصير الأجل، لمدة شهرين بانتظار ارتفاع الطلب العالمي على النفط مع نهاية حزيران/يونيو. لكن الملاحظ أن أزمة أسعار النفط قد بلغت من العمق درجة بحيث لم تستجب الأسواق لهذا الاتفاق الكبير للغاية، فلم ترتفع الأسعار إلا بشكل هامشي، بل وعادت أسعار برنت تنخفض إلى ما دون 30 دولاراً والذي يفسر ذلك أن الطلب العالمي قد انخفض بمقدار 30 مليون برميل يومياً فلا يسعفه خفض الإنتاج بمقدار 10 ملايين برميل يومياً.

ثالثاً: الظرف الثالث، مخزون النفط الأمريكي

هناك نوعان من مخزونات النفط في أمريكا، الأول المخزون الاستراتيجي للدولة، والثاني مخزون الشركات. وهذا الظرف ساهم مع الظرفين الآخرين في تعميق أزمة النفط: جزء منه يتعلق بحالة المخزون الاستراتيجي فيما الجزء الآخر خاص بنفط غرب تكساس ولتوضيح ذلك:

-1 المخزون الاستراتيجي للنفط (الخاص بالدولة) بشكل عام هو عبارة عن خزانات تحت الأرض غالباً لتخزين النفط المستخرج لاستخدامه وقت الأزمات، وقد بنت الكثير من الدول هذه الخزانات بعد توصيات منظمة الطاقة الدولية بسبب أزمة النفط في حرب سنة 1973. ثم لكل دولة من الدول المستهلكة الرئيسية خزاناتها للنفط والتي تتسع لكفاية حاجتها منه لمدة 90-30 يوماً في حال انقطاعه...

-2 في عام 1975 سن الكونغرس الأمريكي تشريعاً يلزم الحكومة الفيدرالية بإنشاء مواقع لتخزين كميات من الخام كافية لتأمين الطلب عليه في حالة تعرض الإمدادات لأي نوع من المخاطر الحادة. وتقع مواقع التخزين الأمريكية على سواحل ولايتي تكساس ولويزيانا، وتتكلف الدولة تأمين حراسة مشددة لها، وقد بلغت أقصى كمية لهذا المخزون الاستراتيجي في أمريكا 727 مليون برميل سنة 2009. وبالإضافة للمخزونات الفيدرالية تقوم الشركات الأمريكية العاملة في مجال الطاقة بتخزين كميات خاصة بها توازي في مجملها كميات المخزون الفيدرالي، وتكثر مثل هذه الخزانات السطحية للشركات في ولاية تكساس كونها أكبر ولاية ينتج فيها النفط في أمريكا منذ أمد بعيد، والمسمى «خام غرب تكساس»، وكذلك في ولاية أوكلاهوما المجاورة لها والتي ينقل منها نفط تكساس إلى عمق البر الأمريكي...

-3 ومع الانهيار السابق لأسعار النفط 2020/3/6 وما تبعها من حرب أسعار بين السعودية وروسيا فقد توجهت الكثير من الدول خاصة أمريكا والصين لملء مخزونها الاستراتيجي من النفط، وكان ترامب قد ابتهج بانخفاض الأسعار وقتها.. وعملت أمريكا على شراء النفط الرخيص من السعودية أو غيرها، وقبل حلول «الاثنين الأسود» كانت خزانات تكساس ممتلئة نوعاً ما، وإن لم يكن كلياً. وهكذا فإن مشكلة مخزون النفط تكون قد وصلت درجة التأزيم والتشبع بحيث إن توجيه المزيد من النفط المستخرج (في حال عدم البيع) إلى التخزين أصبح مسألة معقدة، وأحياناً غير متوفرة، بمعنى إقفال قناة التخزين كحل أمام منتجي النفط خاصة في تكساس...

-4 وهكذا فإن مخزون النفط الاستراتيجي الأمريكي قد مُلئ بنسبة كبيرة، وناقلات النفط تعمل في البحر كمرافق تخزين فتفاقمت بذلك مشكلة التخزين حيث امتدت إلى مرافق التخزين الخاصة بنفط غرب تكساس في نقطة تسليمها عند بلدة كاشينغ بولاية أوكلاهوما شمالي ولاية تكساس، (وتتزايد كميات الخام المخزونة في الولايات المتحدة، لا سيما في كاشينغ، حيث نقطة التسليم لخام غرب تكساس الوسيط الأمريكي في أوكلاهوما، مع تقليص المصافي أنشطتها في مواجهة الطلب الضعيف. الجزيرة نت، 2020/4/20)، والطاقة التخزينية القصوى لنقطة كاشينغ تبلغ 76 مليون برميل، وفي العادة يمكن لأصحاب عقود النفط استلام عين النفط في كاشينغ عندما يحين أجل تلك العقود ويمكنهم تخزينه فيها بأسعار عادية غير مرتفعة لحين نقله داخل البر الأمريكي إلى الولايات الداخلية، لكن ما حصل: (وفي كاشينغ بولاية أوكلاهوما خصوصا حيث يتم تخزين خام تكساس الوسيط المرجعي، ازداد حجم المخزون خمسة ملايين برميل وبات قريبا من الحد الأقصى، وارتفعت أيضا المخزونات الأمريكية من الوقود والمنتجات المكررة بينما تراجع الاستهلاك الأسبوعي أكثر من 25 بالمئة على مدى عام بسبب إجراءات العزل. رأي اليوم، 2020/4/25)، وهكذا يمكن القول بأن الانخفاض غير المسبوق للطلب العالمي على النفط والمقدر بـ30 ٪ (أي حوالي 30 مليون برميل نفط يومياً) هو السبب الأول والرئيسي لما نشاهده من انهيارات متتالية في أسعار النفط، ولما كانت السياسة الأمريكية - السعودية بالضغط على روسيا صالحة للتطبيق فقط في الأوقات الطبيعية، وليس وقت أزمات

الطلب، فقد نتج عنها تفاقم لمشكلة أسعار النفط بشكل صارخ.

رابعاً:

كل هذا أثر على نفط غرب تكساس فقد تشبعت مرافق التخزين في أوكلاهوما ولم يعد هناك مجال للتخزين إلا بأسعار باهظة للغاية، وصار لا بد من التخلص من تلك العقود بأي ثمن، فكانت أزمة نفط غرب تكساس أو «الاثنين الأسود» 2020/4/20 عندما تم بيع النفط بسالب 37 دولاراً للبرميل، وتكبد المتعاملون بالبورصة في أمريكا خسائر فادحة... والذي أوصل الأمور إلى هذا الحد وزاده تأزماً هو ما ذكرناه آنفاً، أي امتلاء خزانات كاشينغ، فعندما تقترب المخزونات من الحد الأقصى، وهو إجراء نادر للغاية فإن أسعار التخزين تقفز، ولأن آفاق استهلاك النفط بسبب استمرار إغلاق الاقتصاد كانت لا تزال غامضة ومريبة فإن أسعار التخزين في منشآت كاشينغ قد قفزت بقوة وصارت عاملاً آخر يضغط على حاملي عقود نفط أيار/مايو، وصاروا يحاولون التخلص منها بأي ثمن، فنزلت أسعار تلك العقود إلى 10 دولارات، ثم بعدها إلى خمسة، ثم واصلت النزول إلى الصفر في مشهد دراماتيكي، ثم ما لبثت أن نزلت إلى ما دون الصفر لتباع آخر تلك العقود أيار/مايو بسالب 37.6 دولار وسط ذهول كبير لحامليها الذين تكبدوا خسائر فادحة وكذلك ذهول المتعاملين بالبورصة. هكذا حصلت أزمة «الاثنين الأسود» 2020/4/20 لنفط غرب تكساس، وتلك كانت ظروفها التي تجمعت في صعيد واحد لتصنع هذه الأزمة الحادة. ومن ثم حصلت أزمة نفط غرب تكساس، ولم تنفع ابتهاجات ترامب باتفاق أوبك بلس بين السعودية وروسيا حين قال في 2020/4/12 («سيوفر ذلك مئات الآلاف من وظائف الطاقة في الولايات المتحدة. أود أن أشكر وأهنئ الرئيس الروسي بوتين والملك السعودي سلمان بن عبد العزيز» CNN عربي، 2020/4/21)، فابتهاجات ترامب كانت بعيدة عن الواقع لأن تهاوي الأسعار بهذه الطريقة الفظيعة التي حصلت أوجد مخاوف كبيرة في العالم وليس في أمريكا وحدها، ومن ثم اشتدت الأزمة الاقتصادية ناهيك عن قطاع الطاقة فقد باتت فقاعاتها قابلة للانفجار!

وللعلم فإن خام غرب تكساس المتوسط West Texas Intermediate)) يتم استخراجه من حقول النفط في الولايات المتحدة، ويتم استخراجه بشكل أساسي من تكساس ولويزيانا وداكوتا الشمالية، ثم نقله عبر خط أنابيب إلى كوشينغ، بولاية أوكلاهوما للتسليم، ويتم تداول العقود الآجلة لخام غرب تكساس الوسيط عبر بورصة نيويورك التجارية (NYMEX)، المملوكة لبورصة شيكاغو التجارية (CME)...

خامساً:

ومن ناحية أخرى، فإن أمريكا منذ بداية أزمة كورونا قد اعتمدت خططاً للدعم أو للإنقاذ أو التحفيز، وكانت تلك الخطط متدرجة، أولها خطة صغيرة بقيمة 8.3 مليار دولار من الإنفاق الطارئ لدعم برامج الصحة وتمكينه من مواجهة تفشي وباء كورونا في أمريكا، وبعد أن أخذ وباء كورونا يضرب الاقتصاد خارج قطاع الصحة، (خفضت الولايات المتحدة أسعار الفائدة إلى ما يقرب من الصفر، وأطلقت برنامجا تحفيزيا بقيمة 700 مليار دولار، في محاولة لحماية الاقتصاد من تأثير فيروس كورونا، بي بي سي، 2020/3/16) فقامت بإغراق الأسواق بالسيولة الدولارية لمواجهة نقص السيولة، ثم بعد ذلك تبني خطة تحفيز بقيمة خيالية 2.2 تريليون دولار في 2020/3/27، وهي أكبر خطة في التاريخ الأمريكي، ومعظمها مخصص لشراء ديون الشركات التي تقف على حافة الإفلاس لمنع انهيارها، وأثناء ذلك (وكان بنك الاحتياطي الفيدرالي قد أعلن في وقت سابق أنه سيشتري ما لا يقل عن 500 مليار دولار من سندات الخزانة وما لا يقل عن 200 مليار دولار من الأوراق المالية المدعومة بالرهن العقاري. كما أعلن البنك المركزي الأمريكي عن إنشاء برنامج جديد سيوفر ما يصل إلى 300 مليار دولار في التمويل الجديد في محاولة لدعم تدفق الائتمان لأصحاب العمل والمستهلكين والشركات. تريدرس أب، 2020/3/24)، ثم إن حجم المصروفات الصحية على مصابي فيروس كورونا يتوقع أن يكون كارثياً في أمريكا وقد يدفع معه شركات التأمين للانهيار، وهي شركات ضخمة للغاية، ثم إن أمريكا تعاني من أزمة شديدة في البطالة، إذ فقد نحو 30 مليون أمريكي وظائفهم تحت وقع تأثير فيروس كورونا، ولأن الشركات التي كانت توظفهم في وضع مالي بائس فإن عودتهم لوظائفهم لن تكون سريعة هذا العام، وهذا الرقم الكبير ينعكس على الموازنة العامة بالحجم الكبير من طالبي الإعانة الحكومية التي سجل لها ما يزيد عن 22 مليون أمريكي عاطل عن العمل، والحبل على الجرار، وإذا ما استمرت الدولة بتبني حزم إنقاذ كبيرة فإن العملة الأمريكية قد تشهد انهياراً فظيعاً تصطلي بناره أمريكا وكافة الدول والشعوب التي تتعامل بالدولار.

سادساً: لقد أصابت هذه الأزمة ليس فقط أمريكا وإن كانت هي الأشد لكنها أصابت كذلك دولاً أخرى في العالم:

-1 بالنسبة لأوروبا فإن حالها ليس بأحسن من قرينتها أمريكا، فإن تداعيات وباء كورونا قد هددت بنيتها السياسية بجانب التداعيات الاقتصادية، وما نشهده من أزمات هذا الوباء في إيطاليا وفرنسا وإسبانيا وألمانيا وبريطانيا له دلالة واضحة، وقد حذر الرئيس الفرنسي ماكرون في مؤتمر صحفي عبر الهاتف يوم 2020/3/26 «من أن تفشي فيروس كورونا يهدد الدعائم الأساسية للتكتل...» وأضاف «المشروع الأوروبي معرض للخطر... التهديد الذي نواجهه هو القضاء على منطقة الشنغن». (روسيا اليوم 2020/4/26) وقالت المستشارة الألمانية ميركل («من وجهة نظري يواجه الاتحاد الأوروبي أكبر اختبار منذ تأسيسه... المهم أن يخرج التكتل قويا من الأزمة الاقتصادية التي سببها الفيروس»... رويترز 2020/4/7) وقال رئيس وزراء إسبانيا بيدرو سانشيز يوم 2020/4/5 («الظروف الحالية استثنائية وتدعو إلى مواقف ثابتة، إما أن نرتقي إلى مستوى هذا التحدي أو سنفشل كاتحاد...» ... فرانكفورتر ألغماينة الألمانية 2020/4/5) وكان قادة الاتحاد الأوروبي في اجتماعهم عبر الفيديو يوم 2020/4/23 اتفقوا على حزمة إنقاذ فورية بحوالي 500 مليار يورو، ولكنهم تركوا التفاصيل المختلف عليها لتمويل أكبر حتى فصل الصيف... فقد تناقشوا حول تأسيس صندوق للمساعدات، وإصدار سندات كورونا مشتركة. ولكن ألمانيا وهولندا والنمسا وفنلندا أعلنت رفضها لهذه السندات ولم توافق على فكرة الصندوق. بينما فرنسا وإيطاليا وإسبانيا تدعم المشروع وهي الدول الأكثر تضررا. ورفض ألمانيا يرجع إلى أنها تطمح لأن تعطي قروضا باسمها لتكون هذه الدول مدينة لها، لتسيطر على دول أوروبا الأخرى...!

-2 وبالنسبة للصين، فقد حذر البنك الدولي من أن تداعيات الاقتصاد العالمي يمكن أن تتسبب في تراجع نمو الاقتصاد الصيني وصولا إلى 2,3٪ هذا العام مقارنة بنسبة 6,1٪ في العام 2019» (صفحة الحرة الأمريكية 2020/4/10) ونقلت الصفحة عن مسؤول البنك المركزي الصيني قوله: «إنه يوصي بألا تحدد بكين هدفا للنمو هذا العام، نظرا للشكوك الهائلة التي تواجهها» ونقلت صحيفة «إيكونوميك ديلي» الرسمية عن «ما جون» عضو في لجنة السياسة النقدية في بنك الشعب الصيني قوله «إنه سيكون من الصعب الوصول إلى نمو بنسبة 6٪»، مضيفا أن «تحديد هدف يمكن أن يحد من التدابير الرسمية للتعامل مع تداعيات الفيروس».

-3 وأما بالنسبة لروسيا، فهي تعتمد على صادرات النفط والغاز بنسبة 60٪. فالنفط يعتبر شريان الحياة للاقتصاد الروسي، فأصبح يقاسي من الخسائر التي يتكبدها، وباتت العملة الروسية الروبل على أسوأ حال فانخفض حتى أصبح الدولار يساوي نحو 79 روبلاً عقب حرب أسعار النفط. ففي تقارير من وكالة رويترز عن الوضع في روسيا تنقل عن أحد البنوك الروسية قوله «إن الناتج المحلي الإجمالي قد ينكمش بنسبة 15٪ إذا ما هبطت أسعار النفط دون عشرة دولارات للبرميل».

سابعاً: إن الرأسمالية قد ظهر عوارها بشكل أوضح، وظهر عجزها وارتباكها في التعامل مع أزمة كورونا، وظهرت الأنانية بين دولها، التي تعرضت لضربات شديدة ألقتها أرضا، فما بقي إلا المبدأ الإسلامي العريق والصحيح. فهناك فرصة لانطلاق الأمة الإسلامية من جديد... إلا أن الأنظمة في بلاد المسلمين والقائمين عليها تقف عائقا أمام حركة الأمة، فهؤلاء الحكام يصرون على عداوتها وعلى الارتباط بالدول الاستعمارية الكبرى. والأمة تحتاج إلى قيادة مخلصة صادقة تقودهم وفق الإسلام الحنيف، وهي لا شك تدرك أن حزب التحرير هو الرائد الذي لا يكذب أهله، فلتعمل معه بصدق [وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ].

أيها الإخوة، إن الأحداث تشير إلى أن الموقف الدولي بعد كورونا ليس كما كان قبله، فالدول التي كانت تعد أنفسها آلهة في الأرض تخط لها شرعا وقوانين على خلاف ما أنزل الله سبحانه على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فتجعل الباطل حقاً والحق باطلاً، هذه الدول قد ثبت عجزها أمام مخلوق صغير صغير لا يكاد يرى فألقاها أرضاً وهي تتخبط في كيفية معالجته، والوقوف أمامه... وهي ما زالت تتخبط في دياجير ظلمها إلى أن يصفعها قول الله القوي العزيز: [وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً]، وسيبزغ فجر الخلافة من جديد، فيضيء الدنيا وينشر الخير في ربوع العالم [وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً].

أمير حزب التحرير - عطاء بن خليل أبو الرشته

السادس من رمضان المبارك 1441هـ

الموافق 2020/04/29م

الابتلاءات والمحن: نِعَمٌ مخفية

د. نسرين نواز

(مترجم)

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُصِبْ مِنْهُ».

غالباً ما يكون من الصعب رؤية الجانب الإيجابي في الخسارة، أو المصيبة، أو المأساة، بما في ذلك الوباء الحالي. فالألم الذي نشعر به من وفاة شخص عزيز، والمعاناة التي نمر بها بسبب اعتلال الصحة، والقلق الذي نعاني منه خلال الصعوبات المالية، وخيبة الأمل التي نشعر بها عندما لا نتمكن من تحقيق هدف مهم في حياتنا يمكن أن تستهلك في بعض الأحيان انتباهنا وتملأنا بالأفكار والعواطف المظلمة.

ومع ذلك، يخبرنا ديننا أنه ليس من المحتم أن تكون هذه الأمور مجرد اختبارات ومحن في حياتنا بل هي مصدر نعمة لنا كمؤمنين. والواقع أنها من نعم الله على المسلم. فالله سبحانه وتعالى يقول: [وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ]. وروى أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْماً ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ». وقال أبو سعيد وأبو هريرة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ». ومن ثم، فإن الاختبارات والمحن هي فرصة لنثبت لربنا سبحانه وتعالى أننا صادقون في إيماننا من خلال التحلي بالصبر والثبات على ديننا أمام ما فرضه الله سبحانه وتعالى، في المقابل، وعدنا الله تعالى بركته ورحمته وغفرانه وثوابه. وبالفعل هذا هو النجاح الحقيقي في الحياة، لأن الله سبحانه وتعالى قال: [فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ].

وبالتالي، فإن الخسارة والمصائب والآلام توفر لنا فرصة للاقتراب من ربنا سبحانه وتعالى ولرفع درجاتنا في الآخرة وتحقيق النجاح في هذه الحياة والآخرة؛ لأنها وسيلة لتطهير أنفسنا وتفكيرنا وأفعالنا وتطلعاتنا، بعيداً عن أي نقاط ضعف وشوائب قد تتعارض مع ديننا، أو مع الانصياع لأوامر الله سبحانه وتعالى. في الواقع، الإيمان أغلى من الذهب، ومن ثم فهو يحتاج أيضاً إلى الخضوع للحرارة والاختبارات لإزالة الشوائب لجعله نقياً وقوياً وجديراً بالجنة، كما يحدث للذهب عندما تتم تنقيته في نار ساخنة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «العوارض والمحن هي كالعوارض والبرد، فإذا علم العبد أنه لا بد منها - لا بد من الابتلاء، ولا بد من المحنة - لم يغضب لورودها، ولم يغتم ولم يحزن، وإنما يعلم أن هذا ابتلاء من الله يريد الله به أن يزيد له في حسناته، ويكفر به عنه من سيئاته، ويرفع له في درجاته، فيحمد الله على المحنة». ولذلك تقدم لنا اختبارات الله سبحانه وتعالى فرصة للارتقاء إلى مستوى أعلى في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة، إذا استجبنا لها بالطريقة الصحيحة.

لجني الفوائد الحقيقية لعملية التطهير هذه وتحقيق النجاح في الدنيا والآخرة، فإنه يتوجب علينا كمؤمنين استغلال الاختبارات، بما في ذلك الوباء الحالي، كوسيلة للمحاسبة الذاتية الصادقة، وإعادة التقييم وإعادة معايرة حياتنا. عندما نتأذى من خسارة أو مصيبة، يخبرنا الله سبحانه وتعالى أنه يجب أن نقول «إنا لله وإنا إليه راجعون». لا ينبغي أن تكون هذه الجملة مجرد كلمات نلفظها، بل يجب أن تجعلنا نتوقف ونفكر ونتأمل ونتغير. يجب أن يكون هذا تذكيراً لنا بمدى ضعفنا كبشر مقارنةً بعظمة ربنا، ومدى حاجتنا لدعمه وتوجيهه في كل مجال من مجالات حياتنا. يجب أن يكون هذا الوباء بمثابة تذكير بأن الأشياء في هذا العالم هي أمور مؤقتة - مثل ثروتنا، ووظائفنا، وعائلتنا، وأطفالنا، ومنازلنا - وكيف يمكن أن تضيع في غمضة عين. نرى مع هذا الوباء، أنه حتى الأشياء الأساسية التي اعتبرناها أمراً مفروغاً منه - مثل مغادرة منازلنا أو الاجتماع مع الأصدقاء والعائلة - يمكن إزالتها بين عشية وضحاها. ويجب أن يكون هذا تذكيراً لنا بأننا لا ننتمي إلى هذا العالم وأنه ليس وطننا الحقيقي بل في النهاية سنعود إلى الله سبحانه وتعالى وسيكون وطننا الحقيقي هو الجنة بإذن الله.

كل هذا يجب أن يدفعنا إلى التساؤل عن أولوياتنا في الحياة - هل هي وفقاً لما حدده ربنا - مثل السعي من أجل قضيته وإقامة نظامه، الخلافة على منهاج النبوة، أم أولوياتنا هي متابعة الانبهار المؤقت بهذا العالم والسماح له باستهلاك وقتنا واهتمامنا؟ يجب أن يدفعنا إلى التساؤل عما إذا كنا قد أعطينا هذه الدنيا وزناً أكبر مما تستحقه مقارنة بالآخرة، بحيث نفشل في الوفاء بالتزاماتنا الإسلامية بسبب إغراءات الحياة أو الخوف من فقدان مصالحنا وطموحاتنا الشخصية؟ وينبغي أن يدفعنا إلى التساؤل عن علاقتنا بالله سبحانه وتعالى، وما إذا كنا قد أعددنا أنفسنا بما يكفي لمواجهته سبحانه وتعالى والوقوف بين يديه، فيما إذا كنا قد نفذنا جميع أوامره وعشنا الحياة وفقاً لأوامره - لأنه بلا شك، الوقوف بين يدي ربنا هو مصيرنا؟ يجب أن تؤدي إعادة تقييم حياتنا هذه إلى تغيير في تفكيرنا وأولوياتنا وشخصياتنا وأفعالنا إن شاء الله بحيث تتماشى مع ما يتوقعه منا ديننا، والعمل على التغلب على أي نقاط ضعف في صفاتنا أو تعيقنا عن التزامنا بأوامر الله مما يمنعنا من الحصول على أعلى الدرجات في الجنة، وإلا فشلنا في فهم واحدة من النعم والعطايا الحقيقية التي قدمها لنا الله سبحانه وتعالى من خلال اختباراته ومحنه: لتحقيق النجاح الحقيقي في هذه الدنيا وفي الآخرة.

يجب أن تحفزنا الآلام التي تصيبنا كأفراد، أو كأمة، بما في ذلك جائحة الفيروس التاجي هذا، على التفكير في الحقائق السياسية للعالم الذي نعيش فيه، وفحص ما إذا كانت هذه الحقائق سببت أو فاقمت الأزمات والمشكلات التي نواجهها مما أدى لدعم الخسارة والمصاعب والمصائب أمامنا. على سبيل المثال، نشهد اليوم تصدعات شديدة في أنظمة الرعاية الصحية في البلدان حتى في أكبر اقتصادات العالم؛ الحكومات التي وضعت حماية المصالح الاقتصادية فوق صحة شعبها، حتى إنها فشلت في ضمان ما يكفي من معدات الحماية الشخصية للعاملين في المجال الطبي والرعاية؛ هشاشة النماذج المالية التي هي من صنع الإنسان للدول؛ وفشل الأنظمة في البلاد الإسلامية في التعامل مع العدوى بطريقة تحافظ على سلامة الأمة والدين مثل الحفاظ على صلاة الجمعة المفروضة. كل هذا هو نتيجة لأنظمة الحكم الرأسمالية والاشتراكية وغيرها من أنظمة الحكم التي صنعها الإنسان والتي فشلت في تلبية احتياجات شعوبها. رؤية كل هذا، يجب أن تلهمنا بالتأكيد بالحاجة إلى التغيير، وتعزيز عزمنا على إيجاد عالم أفضل لهذه الأمة والبشرية، وتعزيز إيماننا بالحاجة الملحة لإعادة الخلافة التي ستوفر قيادة تهتم بصدق بالإنسانية وتحتضن مبادئ وقوانين سليمة لحل جميع المشاكل التي نواجهها، والتي ستحمي دائما مصالح الإسلام والأمة.

على سبيل المثال، في القرآن، يقول الله سبحانه وتعالى للمسلمين أن الهزيمة والمصيبة التي أصابتهم في معركة أحد كانت لأن الرماة على قمة التلة خالفوا أوامر رسولنا، وبالتالي فإنهم قد عصوا أمر الله سبحانه وتعالى، بالتخلي عن موقعهم بسبب رغبتهم في الحصول على غنائم الحرب، على الرغم من أنه طلب منهم البقاء صامدين في مواقعهم. قال تعالى عن هذه المعركة: [وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ]. لقد كان درساً ثقيلاً تعلموه؛ أن عصيان أمر الله سبحانه وتعالى يؤدي إلى الفشل والمصائب في الحياة.

وبالمثل، فإن الطريقة الكارثية التي أدارت بها الحكومات في البلاد الإسلامية وخارجها هذه الأزمة الحالية، وفشلها في حماية صحة شعوبها بشكل ملائم، تسبب في مصاعب اقتصادية كبيرة عليها، وتسبب في حرمانها من القدرة على الوفاء بالتزامات إسلامية مهمة، مثل صلاة الجمعة بسبب «نسخ ولصق» نهج الدول الغربية تجاه هذا الوباء، يجب أن يكون بالتأكيد درساً مهماً بالنسبة لنا لمعرفة عواقب عصيان ربنا، بالتخلي عن تطبيق نظام الخلافة.

لذلك، فإن الاختبارات والمحن هي فرصة لتعلم الدروس في الحياة، ووضع الأشياء في حياتنا في منظور المراقبة، وإعادة تقييم ما إذا كنا نعيش وفقاً لما يطلبه خالقنا منا، وفرصة لخلق تغيير إيجابي حقيقي داخل أنفسنا، وأرضنا وعالمنا. في الواقع، النجاح في حياتنا الشخصية كمسلمين، والنجاح كأمة في هذه الدنيا، والنجاح في الآخرة يمكن أن يحدث فقط من خلال الطاعة الكاملة لجميع أحكام الله سبحانه وتعالى. قال ابن تيمية: «إن المصيبة التي تجعلك تلتجئ إلى الله أفضل من البركة التي تنسى فيها ذكر الله».

في الأوقات العادية، غالباً ما ننغمس في روتين حياتنا اليومية سواء أكان ذلك في العمل، أو في نقل الأطفال من وإلى المدرسة، أو الأنشطة المجتمعية، أو حضور الكلية أو الجامعة، وغيرها من الإجراءات التي تستهلك اهتمامنا ووقتنا. ومع ذلك، فإن فترة الإغلاق هذه، حيث التزم كثير منا في منازلهم، تتيح لنا الوقت للتفكير في حياتنا، وعلاقتنا مع أزواجنا أو أسرتنا، ومسؤولياتنا تجاه أطفالنا، وعالمنا. إذا فشلنا في استغلال هذه الفرصة لإحداث تغيير حقيقي داخل أنفسنا وتقوية عزمنا على إحداث تغيير إيجابي في أراضينا وفي هذا العالم، فهي الخسارة الحقيقية والمصيبة التي ستلحق بنا. قال العالم ابن القيم رحمه الله في مفتاح دار السعادة: «إذا تأملت حكمته سبحانه فيما ابتلى به عباده وصفوته بما ساقهم به إلى أجل الغايات وأكمل النهايات التي لم يكونوا يعبرون إليها إلا على جسر من الابتلاء والامتحان... وكان ذلك الابتلاء والامتحان عين المنهج في حقهم والكرامة فصورته صورة ابتلاء وامتحان وباطنه فيه الرحمة والنعمة، فكم لله من نعمة جسيمة ومنة عظيمة تجني من قطوف الابتلاء والامتحان؟».

صلوحية النظام الإسلامي لكل زمان ومكان

ياسين بن علي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

النظام، من ناحية هيكلية بنائية، هو مجموعة الأفكار المنظمة لشؤون الناس، أو هو جملة القواعد والأحكام الضابطة للعلاقات. ومن ناحية عملية تنفيذية، فهو معالجات لمشاكل الإنسان، وبيان لكيفية تنفيذ المعالجات، والمحافظة على العقيدة وحمل المبدأ. ويتميز نظام الإسلام بجملة من الخصائص التي تضمن صلوحيته للتطبيق في كلّ زمان ومكان، منها:

أولا: إنسانية المعالجات

المعالجات، هي أحكام منظمة لعملية إشباع الإنسان حاجاته العضوية وغرائزه، كإباحة شرب الماء وحرمة شرب الكحول، وإباحة الزواج وحرمة الزنا، وإباحة البيع وحرمة الربا وغير ذلك من الأحكام المنصبّة على تنظيم عملية الإشباع ذاتها.والمراد بإنسانية المعالجات هو أنّ الشريعة الإسلامية عندما تعالج مشاكل الإنسان إنما تعالجها له بوصفه إنسانا لا غير. فالشريعة الإسلامية لا تعالج مشاكل الإنسان بوصفه الفردي أو بوصفه يعيش في عصر ما وفي مكان ما، إنما تعالج مشاكله بالنظر إليه كإنسان هو الذكر والأنثى، وهو العربي والأعجمي، وهو الأبيض والأسود، وهو إنسان الماضي والحاضر والمستقبل.

فلا فرق في نظر الشريعة الإسلامية بين إنسان هذا العصر وبين إنسان العصور السابقة؛ فإنسان هذا العصر شأنه شأن إنسان العصر السابق، يحسّ بالجوع والعطش، ويشعر بالخوف والشبق؛ لأنّ الحاجات العضوية والغرائز واحدة في الإنسان لا تختلف من فرد إلى آخر أو من عصر إلى عصر آخر. وما يرى من تغيّر في حياة الإنسان، هو في واقعه ليس تغيرا في ذات الإنسان، إنما في أشكال الحياة. فالإنسان الأول سكن الكهوف وركب الحصان، وإنسان اليوم يسكن ناطحات السحاب ويركب الطائرة. ولو دققنا النظر، لوجدنا الدافع لسكنى الكهف وركوب الحصان عند الإنسان الأول هو نفس الدافع لسكنى العمارة وركوب الطائرة عند إنسان هذا العصر. ومن هنا فإن الشريعة الإسلامية وضعت معالجات لمشاكل تنطبق على كل إنسان بغض النظر عن لونه وجنسه وعرقه ومكانه وزمنه.

فالميل الجنسي مثلا غريزي في الإنسان، نظمته الشريعة بحكم تحريم الزنا والحث على الزواج. قال تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا}. وحبّ البقاء والمحافظة على النوع غريزي في الإنسان، نظمته الشريعة بحكم تحريم القتل. قال تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ}. وهكذا فإنّ كل المعالجات التي شرعها الإسلام غير مرتبطة ببيئة أو مكان أو زمان، فهي معالجة للإنسان من حيث هو إنسان.

ثانيا: طريقة التنفيذ

كما سبق ذكره، فإنّ النظام هو معالجات لمشاكل الإنسان، وبيان لكيفية تنفيذ المعالجات، والمحافظة على العقيدة وحمل المبدأ. وعليه، فالشريعة الإسلامية لم تكتف ببيان المعالجات اللازمة للإنسان، بل بيّنت له طريقة تنفيذها لضمان تطبيقها في الواقع. فليس الإسلام كالنصرانية مجرد معالجات إجمالية وتوصيات أخلاقية للفرد أن يأخذها أو يردّها، بل الإسلام منظومة علمية وعملية متكاملة، فهو يبيّن المعالجة ويبيّن معها سبيل تطبيقها وتنفيذها فيما يتعلّق بالفرد والمجتمع.فالشريعة الإسلامية حين توصي بالمحافظة على النفس الإنسانية تبيّن طريقة لتنفيذ ذلك وهي قتل القاتل، وحين أمرت بالمحافظة على أموال الناس بيّنت طريقة لتنفيذ ذلك وهي قطع يد السارق.

ثالثا: الاجتهاد

لقد أحاطت الشريعة الإسلامية بجميع أفعال الإنسان إحاطة شاملة كاملة، فما من شيء إلا وبيّنت حكمه. قال تعالى: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ}، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ...» (رواه ابن ماجه عن العرباض).

قال الشافعي رحمه الله تعالى في الرسالة: "فجماع ما أبان الله لخلقه في كتابه مما تعبّدهم به لما مضى من حكمه جلّ ثناؤه من وجوه:فمنها ما أبانه لخلقه نصاً. مثل جمل فرائضه في أنّ عليهم صلاةً وزكاةً وحجاً وصوماً، وأنه حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ونصّ الزنا والخمر وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير، وبيّن لهم كيف فرض الوضوء، مع غير ذلك مما بيّن نصاً. ومنه: ما أحكم فرضه بكتابه وبيّن كيف هو على لسان نبيه. مثل عدد الصلاة والزكاة ووقتها وغير ذلك من فرائضه التي أنزل من كتابه.ومنه: ما سنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ليس لله فيه نصّ حكم، وقد فرض الله في كتابه طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والانتهاء إلى حكمه، فمَن قبل عن رسول الله فبفَرْض الله قَبِل.ومنه: ما فرض الله على خلقه الاجتهادَ في طلبه، وابتلى طاعتهم في الاجتهاد كما ابتلى طاعتهم في غيره مما فرض عليهم".

فالاجتهاد يبقي أحكام الإسلام متجدّدة مواكبة لكل عصر؛ لأنه طريق معرفة حكم الشرع فيما استجدّ من حوادث ومشكلات. ولهذا حثّ الشرع على الاجتهاد ورغّب فيه وجعله فريضة شرعية. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ» (رواه الشيخان عن عمرو بن العاص). وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا». (رواه أبو داود عن أبي هريرة). وأخرج النسائي في سننه عن عبد الرحمن بن يزيد قال أكثروا على عبد الله ذات يوم فقال عبد الله : «إِنَّهُ قَدْ أَتَى عَلَيْنَا زَمَانٌ وَلَسْنَا نَقْضِي، وَلَسْنَا هُنَالِكَ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدَّرَ عَلَيْنَا أَنْ بَلَغْنَا مَا تَرَوْنَ، فَمَنْ عَرَضَ لَهُ مِنْكُمْ قَضَاءٌ بَعْدَ الْيَوْمِ، فَلْيَقْضِ بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ جَاءَ أَمْرٌ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَلْيَقْضِ بِمَا قَضَى بِهِ نَبِيُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنْ جَاءَ أَمْرٌ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَلَا قَضَى بِهِ نَبِيُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلْيَقْضِ بِمَا قَضَى بِهِ الصَّالِحُونَ، فَإِنْ جَاءَ أَمْرٌ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَلَا قَضَى بِهِ نَبِيُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا قَضَى بِهِ الصَّالِحُونَ، فَلْيَجْتَهِدْ رَأْيَهُ، وَلَا يَقُولَنَّ: إِنِّي أَخَافُ، وَإِنِّي أَخَافُ، فَإِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَ ذَلِكَ أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ، فَدَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ»قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ: "هَذَا الْحَدِيثُ جَيِّدٌ جَيِّدٌ". وأخرجه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي. وقد روي مثله عن جمع من الصحابة منهم عمر وابن عباس.

رابعا: سعة الشريعة الإسلامية

لا تعني سعة الشريعة أنها تتكيّف مع كل واقع ولو خالفها، أو أنها قادرة على التطور بحيث تتغيّر أحكامها الثابتة لتوافق هوى بعض الناس أو بدع بعض المجتمعات، إنما تعني السعة أنّ الشريعة الإسلامية قادرة على معالجة كلّ المشاكل المستجدّة بما فيها من خصائص ذاتية تضمن لها مواكبة العصر. فما من شيء إلا وقد بيّنت الشريعة الإسلامية حكمه، فإن لم يكن بنص عليه، فبأمارة تهدي من تطلبها. ومثال ذلك: قوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ}، فإن ما يستنبط من هذه الآية هو وجوب إعداد القوة لإرهاب أعداء الله، فإذا كان الإعداد في الماضي يكون بالرماح والسيوف والخيل، فيجب أن يكون اليوم بالطائرات والدبابات والقنابل النووية وغير ذلك من قوة حديثة تتماشى مع التطور العلمي والتكنولوجي. فقوله تعالى: {ما استطعتم من قوة}، عام يدخل فيه كل أمكن تجهيزه واتخاذه من عدّة. وقوله تعالى: {من رباط الخيل}، خاص عطف على العام. وقوله تعالى: {ترهبون}، علة للإعداد. فيكون المطلوب هو إعداد القوة التي ترهب العدو، وهذه القوة تختلف أشكالها ومظاهرها باختلاف العصر. فيكون الإسلام قد طلب منا بدلالة الآية أن نجهّز الأسلحة الحديثة المواكبة لزمننا.

خاتمة

"أراد الله للإسلام أن يكون خاتمة الأديان والشرائع، وأن يكون لذلك دينا عاما لجميع البشر، وباقيا على امتداد الدهر، إرادة دلت عليها نصوص القرآن، وأيدها متواتر أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم مما لا يترك مجالا للشك في نفس المتأمل" (كما قال الشيخ الطاهر ابن عاشور في تحقيقات وأنظار)؛ ولأنّ إرادة الله سبحانه قد قدّرت لهذا الدّين التأبيد، فقد دعمته بالتأييد والتجديد؛ فالتأييد بتكفّل المولى سبحانه بحفظه ونصره، والتجديد بتكفّل أولياء المولى بالدفاع عنه وتنقيته من كل شائبة واستنباط ما يلزم من الأحكام لكل حادثة مستجدة. ففي الشريعة الإسلامية من السعة ما يسع مشكلات أي عصر، ولكنها ليست سعة تميّع الإسلام وتهدم أحكامه الثابتة، وليست سعة تكيّف الدّين حسب الأهواء والرغبات فيعمد إلى التلفيق والترقيع بزعم الاجتهاد والتجديد. ورحم الله الدكتور محمد محمد حسين القائل (في كتاب الإسلام والحضارة الغربية)" "الفرق واضح بين الاجتهاد النزيه الذي يقصد مخلصا إلى استنباط حكم الله، وبين التسويغ الذي يضع نصب عينيه حكما مسبقا يريد أن يسوغ إباحته أو حظره؛ فالمجتهد المخلص يسأل نفسه: ما حكم الشرع في هذا الأمر؟ أما الذي يريد تبرير الأنماط الغربية – يمينها وشمالها، وكلاهما شمال – فهو يسأل نفسه منذ البدء: ما هي النصوص الشرعية التي تؤيد هذا الأمر وتبيحه، أو التي تعارضه وتحرمه؟ ومن أجل ذلك فهو يراجع كتب الفقه على اختلاف مذهبها، وعلى تباين ألوانها بين الصحة والفساد، وتفاوت طبقاتها بين التثبت والتهور، ليتصيد منها ما يلائم هدفه وهواه، فإذا صادفه ما يخالف هواه، أسقطه من حسابه، وإذا وجد في النص شيئا له وشيئا عليه، أثبت ما له، وأهمل ما عليه، وبذلك يجيء اجتهاده المزعوم مبنيا على البتر والتحريف والتدليس".

فلا يجب أن ننسى أن الواجب تغيير الواقع ليناسب الإسلام، وليس تغيير الإسلام ليناسب الواقع. قال تعالى: {وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ}.

العلماء الربّانيون يبلغون رسالات ربهم، ولا يخشون أحدًا سواه

مازن الدباغ - الموصل

خلق الله الإنسان ووهبه نعمة العقل التي ميّزه بها على سائر خلقه. ولهذه النعمة قابلية المعرفة وإدراك الأمور، واختصّ من البشر من أحبّ فتفضل عليهم وفقّههم في الدين وعلّمهم التأويل، وسماهم العلماء ووصفهم بأنهم هم الذين يخشونه ولا يخشون أحدًا سواه، قال تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاؤُا إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨ [[فاطر]، وقال أيضًا: (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ) [الأحزاب]. ومن علامات الخشية: الجهر بالحق وتبليغه للناس، حتى وإن كان فيه تعرض للأذى من ذوي السلطان الذين لا يوافق الحق أهواءهم. فالعالم بين أمرين:

إما أن يبلّغ هذه الأمانة كما أمر الله تعالى ويصبر على الأذى في هذا مبتغيًا الأجر من الله وحده؛ لأنه يخشى الله ولا يخشى أحدًا سواه.

وإما أن يسكت أو يداهن فتفتح عليه الدنيا من السلطان وأصحاب الشهوات؛ لأنه يخشى السلطان ويتّبع الهوى فيتجرأ على الله.

وهذا الفرق هو المميّز بين العلماء الصالحين وعلماء السوء في كل زمان ومكان. فالعلماء الصالحون الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين» رواه الترمذي، وقال أيضًا، فيما يرويه الخطيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما عُبد الله بشيء أفضل من فقه في الدين، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد، ولكل شيء عماد وعماد الدين الفقه» فبهم يعرف الحلال من الحرام، والحق من الباطل، وهم ورثة الأنبياء، ووجهة الأنام، وقبلة الحكام الصالحين، شرّفهم الله تعالى ورفعهم فقال: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ١١)وهكذا حمل هؤلاء العلماء الأمانة ورعَوها وأدّوها كما أمرهم الله أن يؤدّوها مصداقًا لقوله تعالى:

(وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ٧٩) فكانوا منارات للهدى، إذا تاه الناس هرعوا إليهم، وإذا استشكل على أولي الأمر أمر استرشدوهم، فهم صمام الأمان بين الحاكم والأمة، وهم عون المظلومين على الظالمين، وأمثال هؤلاء لم يقتصر وجودهم على عصور الإسلام الأولى أو الفترة الذهبية للمسلمين، بل إن وجودهم واجب شرعي إلى قيام الساعة؛ لأنهم حجج الله على عباده، اجتمعت فيهم صفة الإخلاص، والعمل بما علموا، والزهد في الدنيا، وخشية الله وقول الحق مهما كان ثمنه.

ونضرب مثالًا على هذا، العالم الرباني الذي يخشى الله ولا يعرف خشية لسواه، إنه العالم الجليل العز بن عبد السلام، وكان قاضٍ للقضاة في عصر الأيوبي، فبعد أن علم أن الأتراك المماليك الذين جلبهم السلطان للجهاد قد أصبحوا أمراء وقادة في الجيش، أراد تطبيق الحكم الشرعي بحقهم، فأرسل إليهم وقال لهم: «نعقد لكم مجلسًا، ويُنادى عليكم لبيت مال المسلمين، ويحصل عتقكم بطريق شرعي» فرفضوا واستكبروا، ولم ينفردوا باتخاذ القرار بشأن العز، فرفعوا الأمر إلى السلطان أيوب، فبعث إليه وراجعه فلم يرجع، فجرت من السلطان كلمةٌ فيها غلظة على العز، وحاصلها الإنكار على الشيخ في دخوله في هذا الأمر الذي لا يعنيه ولا يتعلق به.

وهنا أدرك العز أن الأمراء تمالؤوا عليه ووقفوا في وجه ما يعتقد أنه الحق وتطبيق الشرع، فأعلن الانسحاب وعزل نفسه عن القضاء وقرر الرحيل ونفذ قراره فورًا، فحمل أهله ومتاعه على حمار وركب حمارًا آخر وخرج من القاهرة، وما أن انتشر الخبر في الشعب حتى أعلن الناس الوقوف بجانب العز، وقرروا العصيان غير المسلح بالالتحاق بالعز، فلم يصل العز خارج القاهرة إلا قليلًا حتى لحقه غالب المسلمين من العلماء والصلحاء والتجار حتى النساء والصبيان. فقال قائل للسلطان: «أدرك ملكك وإلا ذهب بذهاب الشيخ» فركب السلطان بنفسه ولحق بالشيخ العز واسترضاه وطيّب قلبه وطلب منه الرجوع والعودة إلى القاهرة، فوافق العز على شرطه بأن يتمّ بيع الأمراء بالمناداة عليهم، ورجع الجميع إلى القاهرة.

وبعد ذلك حاول نائب السلطان التدخل بالملاطفة، ثم بالتهديد والوعيد، ثم بمحاولة التخلص من الشيخ وقتله، وبعد أن فشلت كل محاولات التهديد والوعيد من قبل نائب السلطان، أذعن الأمراء للأمر، واستسلموا لحكم الشرع، وأُعلن المزاد العام، ووقف العز ينادي على أمراء الدولة واحدًا واحدًا، ويغالي في ثمنهم، وتدخّل الشعب في المزايدة حتى إذا ارتفع السعر إلى أقصى غايته وعجز الأفراد عنه قام السلطان أيوب بدفع الثمن من ماله الخاص ليتملك الأرقاءَ الأمراءَ، ثم أعتق رقابهم فصاروا أحرارًا واحتفظ بهم قادة، وقبض الشيخ العز الثمن فوضعه في بيت مال المسلمين.

بيد أن الله سبحانه وتعالى في الوقت نفسه ذم قسمًا من العلماء ووصفهم بأخس وصف لهم: وجعلهم صنفين:

الصنف الأول: هم الذين حمّلهم الله العلم ولكنهم لم يعملوا بما فضلهم الله به، ولم يؤثر هذا العلم في سلوكهم فكانوا كالحمار الذي يحمل الأسفار، قال تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) قال ابن كثير في تفسره للآية: «أي كمثل الحمار إذا حمل كتبًا لا يدري ما فيها، فهو يحملها حملًا حسيًا ولا يدري ما عليه، وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه، حفظوه لفظًا ولم يتفهموه، ولا عملوا بمقتضاه، فهم أسوأ حالًا من الحمار؛ لأن الحمار لا فهم له، وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها، كما قال تعالى: (أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ).

الصنف الثاني: صنف أسوأ حالًا من الأول وأقبح فعلًا؛ إذ أخذ العلم ولكنه انسلخ منه كما ينسلخ الحيوان من جلده، يشتري بدينه دنياه ودنيا غيره من الحكام والظالمين، دالعًا لسانه بتحريف الكلم عن موضعه إرضاءً لمن ينعم عليه بالمال؛ فكان تمامًا كمثل الكلب اللاهث الذي قال تعالى فيه: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) يقول سيد قطب رحمه الله وهو يستعرض المشهد الرائع لهذه الآية: «إنه مشهد من المشاهد العجيبة الجديدة كل الجدة على ذخيرة هذه اللغة من التصورات والتصويرات، إنسان يؤتيه الله آياته، ويخلع عليه من فضله، ويكسوه من علمه، ويعطيه الفرصة كاملة للهدى والاتصال والارتفاع، ولكن ها هو ذا ينسلخ من هذا كله انسلاخًا، ينسلخ كأنما الآيات أديم له متلبس بلحمه، فهو ينسلخ منها بعنف وجهد ومشقة انسلاخ الحي من أديمه اللاصق بكيانه. ذلك مثلهم، فلقد كانت آيات الهدى وموحيات الإيمان متلبسة بفطرتهم وكيانهم وبالوجود كله من حولهم. ثم إذا هم ينسلخون منها انسلاخًا، ثم إذا هم أمساخ» وهل أسوأ من هذا المثل مثلًا؟ وهل أسوأ من الانسلاخ والتعرّي من الهدى؟ وهل أسوأ من اللصوق بالأرض واتباع الهوى؟ وهل يظلم إنسان نفسه كما يظلمها من يصنع بها هكذا؟ من يُعرّيها من الغطاء الواقي والدرع الحامي، ويدعها غرضًا للشيطان يلزمها أو يركبه، ويهبط بها إلى عالم الحيوان اللاصق بالأرض، الحائر القلق، اللاهث لهاث الكلب أبدًا».

واليوم، وفي الواقع المرير الذي تعيشه الأمة، نجد أمثال هؤلاء كثير. فبدلًا من أن يأخذوا بيد هذه الأمة الجريحة ويداووا جرحها ويلموا شعثها ويرشدوها إلى صلاح حالها، تراهم يتنكرون لها ويحرفون شرع الله ليوافق أهواء الحكام بظلمهم وإجرامهم وحكمهم بغير شرع الله، فنسمع من شيوخ الفتنة هؤلاء وهم يحملون الألقاب الرنانة، مفتي الجمهورية، رئيس رابطة العلماء، الشيخ الدكتور، وغيرها من الألقاب التي قال عنها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: «من لبس ثوب شهرة في الدنيا، ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة» رواه أبو داود. فكانوا كما حذر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن عمرو حيث قال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبقَ عالم اتخذ الناس رؤوسًا جهّالًا، فسُئلوا فأفتَوا بغير علم، فضلُّوا وأضلّوا»

وبعد، فقد كان هذا موجزًا في بيان علامات العلماء الصالحين وعلماء السوء، ليستفيد به العالم في نفسه، وطالب العلم، وعموم المسلمين في معرفة من يُؤخذ عنه العلم ويُقبل قوله في الدين ممن لا يؤخذ عنه علم ولا يُقبل له قول.

وفي الختام، وبعد أن بيّنّا أهمية العلم والأمانة التي يحملها العالم، والتخويف والوعيد لمن يخون هذه الأمانة، لابد لنا من توجيه كلمة للعلماء والنصح لهم، فإن الدين النصيحة. نقول لهم إن الله قد منّ عليكم ورفعكم بين الناس وفضلكم عليهم؛ فأدوا أمانة الله كما أمركم أن تؤدوها، وكونوا مع الأمة تبينون لها شرع الله، وتنقذوها من جهلها وضياعها إلى سبيل الرشاد، عودًا لها على من ظلمها، وأنتم تشاهدون اليوم الحملة الشرسة التي يقودها الكافر وأذنابه على شرع الله ومحاولة تشويهه وتمييعه باسم التجدد والحريات ومحاورة الأديان، فمكانكم الطبيعي في المقدمة تذودون عن حياض الإسلام وتحاسبون الحكام، وبذلك تنالون شرف هذا العلم وثوابه العظيم الذي ورد في الكتاب العزيز وعلى لسان الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه، فأنتم أعلم من غيركم بقيمة الحياة الدنيا أمام الآخرة.

اللهم أصلح علماءنا، واجعلهم ربانيين كما أمرت، وأرنا عز الإسلام والمسلمين بظل خلافة راشدة على منهاج النبوة.

عن مجلّة الوعي

بإمكانكم قراءة المقال على موقعها الرسمي:
http://www.al-waie.org/archives/article/14324

نقض الفكر الغربي وبيان فساده ومخالفته لبديهيات العقل وقواعد التفكير

(الجزء الرابع)

محمود رضا

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

الخلط بين العلوم والمعارف وبين الطريقة العقلية والطريقة العلمية

عند الحديث عن « العلم» لا نريد به التعريفات اللغوية والأصولية القديمة كتعريف الجرجاني له بأنه «الاعتقاد الجازم المطابق للواقع» أو كقول البعض بأنه زوال الخفاء من المعلوم، ولكن نقصد به العلم بالمعنى العصري الحديث والذي يدور حول منهجية تهدف لاستخلاص صفات وخواص المواد الموجودة في الطبيعة عن طريق إخضاعها لظروف وأحوال غير ظروفها وأحوالها الطبيعية. وهو العلم الذي تم به التقدم المادي والصناعي، فمثلا عند غليان الماء عند ارتفاع معين عن سطح البحر يلاحظ أنه يغلي عند درجة حرارة تبلغ المائة، وعند الجمع بين مادة حمضية ومادة قلوية ينتج من التفاعل ملح وماء، ويتم ذلك من خلال تحلل الحمض والقاعدة واتحاد العناصر مرة أخرى بحسب الشحنة كونها سالبة أو موجبة، أحادية أو ثنائية.

والملاحظ على المنهج العلمي الأمور التالية:

أولا: أن النتائج الصادرة في المختبر نتائج لا تخضع لاعتقاد الذي يجري التجربة، ولا لتصوراته عن الكون والإنسان والحياة من حيث الخلق والإيجاد. فقوانين نيوتن في المختبر مثلا تعطي نفس النتائج سواء أكان العالم الذي أجراها مسلما أو ملحدا أو بوذيا..

ثانيا: البحث العلمي في المادة وخواصها يحتم التنازل عن أي آراء سابقة حولها والتسليم بالنتائج التي تخرج من التجربة.

ثالثا: البحث العلمي لا يقع إلا على مادة محسوسة ولا يقع على الأفكار والعقائد والشرائع والسلوكيات. فهذه لا يمكن وضعها في مختبر للتعرف على كنهها وتعريفها.

الطريقة العلمية في التفكير محصورة فقط في البحث في المادة وصفاتها، وبالتالي لا يدخل فيها مثلا الحكم على كونها مخلوقة أم أزلية. فمثل هذا الحكم يحتاج إلى الطريقة العقلية في البحث.

أما الطريقة العقلية في البحث فهي باختصار الحكم على واقع معين تملك عنه معلومات سابقة، فتنقل الإحساس بهذا الواقع إلى الدماغ، فيقوم الدماغ بعملية الربط بين الإحساس بالواقع والمعلومات السابقة.. ومثال ذلك مثلا الحكم على وجود خالق خلق الكون والإنسان والحياة، أو الحكم على وجوب وجود خالق أبدع الكون والإنسان والحياة من العدم. فبالنظر إلى الأجهزة الموجودة في جسم الإنسان مثلا من الجهاز التنفسي والتناسلي والهضمي والعصبي والبولي، وتشكل الحواس الخمس كالنظر والشم والسمع واللمس والشم، ومعرفة مدى التعقيد والدقة في خلق الإنسان يحكم العاقل بوجوب وجود خالق أبدعها ويستبعد الصدفة ويستبعد أن تكون ناتجة من تطور المادة.

فالطريقة العقلية بعناصرها الأربعة تصلح للحكم على قضايا الوجود والخلق والتشريع وصحة الرسالات.

بينما الطريقة العلمية وان كانت جزءا من الطريقة العقلية حيث تتوفر فيها العناصر الأربعة وهي الواقع والمعلومات السابقة والإحساس والدماغ الصالح للربط، إلا أن مجالها خاص في المختبر والتعرف على خاصية المادة.

والخلط بين الطريقة العقلية والطريقة العلمية في البحث توقع في ضلالات الفكر ومهاتراته، حين يظن الملتقي بأن الحكم على قضية وجود خالق أو التشريع أو البحث في الغرائز مثله مثل الفيزياء والكيمياء أو علم الجينات.

ومن هنا يقع الخلط بين العلم والمعرفة.

فالعلم هو نتيجة الطريقة العلمية، ونتائجه عالمية وليست مرتبطة بعقيدة معينة أو وجهة نظر معينة، وقيمه محايدة لا تخضع لاعتقاد أو وجهة نظر في الحياة. فلا يوجد كيمياء أو فيزياء مسلمة أو بوذية أو شيوعية أو رأسمالية.

بينما المعرفة خاصة وهي نتيجة الطريقة العقلية في التفكير، فالحكم على الكون بأنه مخلوق لخالق، أو انه أزلي وان الحياة تطورت من تطور المادة، أو جعل الإيمان بوجود خالق مسالة ثانوية، كل هذه النتائج تختلف باختلاف الناظر أو الباحث في المسالة.

ولتقريب الموضوع نضرب مثالا من علم التشريح، فحين يكتب العلم واصفا تركيب الإنسان وسير الوظائف فيه، وان الإنزيمات مثلا في المعدة في الجهاز الهضمي من اللعاب والمريء والمعدة والأمعاء هدفها تحليل وفرز المواد الغذائية وهضمها، تراه يقول: «وقد ارتأت الطبيعة، أو إن الطبيعة زودت الإنسان بكذا وكذا...» فهذه الجملة مثلا «الطبيعة أعطت أو ارتأت ..» لا تخضع للعلم وإنما تعبر عن وجهة نظر العالم، فهو منكر لوجود خالق ومؤمن بان الطبيعة أزلية أو ناتجة عن عملية الانفجار الكبير.. فمثل هذه الجملة ليست من العلم وإنما من المعرفة.

ونتيجة تقدم الغرب العلمي والمادي وما وصل إليه من نتائج في العلوم الطبيعية، ومن الصناعات، غره كل ذلك فعمم الحكم في العلوم الطبيعية على المعارف وجعلها واحدة ، وهو من التضليل. والخلط الواضح.. والنتيجة لمثل هذا الخلط ليس أخذ العلوم فقط بل معها معارف الغرب ومن ذلك عقيدة فصل الدين عن الحياة وفكرة الحريات والنظرية الفردية والنظام الاقتصادي و نظريات ما يسمى بالعلوم الإنسانية.

ومن الملاحظ ان مناهج التعليم الجامعية في الغرب تتعمد الخلط بين العلم والمعرفة، حتى يتخرج الطلاب كعلماء يعتنقون وجهة النظر الرأسمالية في الحياة، مع اخذ ثمار الفكر الغربي المتعلق بالحياة وتنظيم شؤون الإنسان. فلا يعرف الفرق بين النظام الاقتصادي وعلم الاقتصاد، ويظنهما أمرا واحدا. فيتبنى وجهة النظر الرأسمالية في موضوع المشكلة الاقتصادية وأنها الندرة النسبية، ويصدق بأن الفقر نتيجة طبيعية ولازمة لاختلاف قدرات الناس على الإشباع ، ويقبل بفكرة ضرورة التركيز على الإنتاج دون النظر إلى واقع التوزيع.. فتتجمع الثروة في يد فئة معينة في المجتمع، ويظن الناظر أن ذلك طبيعي وانه قائم على أساس علمي. في حين يتلقى علم الاقتصاد المتعلق بجدوى الإنتاج واختيار أفضل الأساليب والوسائل للتنمية، ويظن أن كل ما تلقاه هو علم عالمي..

وحشو كتب العلم بالمعرفة نجده مثلا في تعمد إدخال نظرية التطور إلى مادة البيولوجيا أو علم الجينات، والتلبيس بأنها قائمة على أسس علمية، بينما هي لا تعدو علميا أكثر من هذيان علمي فيها تمحل واضح فاضح.. لتمهيد قبول وجهة نظر متعلقة بالحياة.

في الحلقة القادمة نتحدث إن شاء الله عما يسمى العلوم الإنسانية كتطبيق عملي للخلط بين العلم والمعرفة.

محاولة للفهم: لا ينكر تغير الأحكام بتغير الزمان

الأستاذ سعيد رضوان القيسي

- هل هذه القاعدة صحيحة؟

- هل هي نص أم اجتهاد؟

- هل هذه القاعدة ترد نصوص الكتاب والسنة؟

- وهل أفهام الرجال تغير أحكام الشرع؟

للإجابة عن هذه الأسئلة وتجلية الأمر نضع هذه المقدمات:

إن العقيدة الاسلامية قررت أن إصدار الأحكام على الأفعال والأشياء هي لله وحده.

نحن نتعبّد الله بما جاءنا به الوحي.

إن الحكم الشرعي محصور في خطاب الشارع، (كتاب وسنة)

إن دور الفقيه هو استنباط الحكم من النصوص وليس حكما عليها، وقد يكون رأيه صوابا وقد يكون خطأ.

إن القواعد الفقهية هي لضبط الإجتهاد، وليست أدلة على الأحكام، وهي فهم للفقيه، فلا حجة فيها.

إن تعارضت القاعدة مع النص يعمل بالنص وترد القاعدة.

لا يجوز أن ترجع القواعد على النصوص التي استنبطت منها بالإبطال، فلا يرجع الفرع على أصله فيبطله، ولا يرد قول الله بأفهام الرجال.

إن تغيير الأحكام من اختصاص المشرع، فهو الذي يثبت الحكم أو ينسخه، وكل ذلك بالوحي، قال تعالى: {مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

لا وجود للتغيير والنسخ بعد انقضاء عهد النبوة وانقطاع الوحي، فليس لأحد أن يجعل من نفسه مشرعا فيغير شرع الله.

إذا تعارض قول الفقيه مع النصوص يضرب بقوله عرض الحائط ويؤخذ على يده أن تعمد معارضة التنزيل.

عند إنعام النظر في النصوص الشرعية نجد ثبات الأحكام، فالصلاة والزكاة والحج والحكم بما أنزل الله والعدل بين الناس جميعها فروض، وحكم الربا والزنا وشرب الخمر والقمار وأكل أموال الناس بالباطل والظلم وقتل النفس التي حرم الله جميعها فروض، ولم يرتبط الحكم بالزمان وتغير أحوال الناس، ولا يوجد في النصوص ما يشير إلى ارتباط الحكم بالزمان.

إن الفرض فرض والحرام حرام إلى قيام الساعة، ولا يكون الحكم في وقت حلالا ثم في وقت آخر حراما، ولا الفرض يصبح مندوبا ولا الحرام يصبح مكروها.

إن لكل حكم واقع أنيط به،وليس بغيره، فإذا تغير الواقع (مناط الحكم) أصبح لا بد من اجتهاد جديد للوصول إلى حكم الواقع الجديد، فلا ينزل الحكم على واقع ليس له، وهذا لا يسمى تغييرا للحكم.

إن تغير الفتوى، ولا نقول الحكم، عند الفقيه لا يكون إلا في الأحوال التالية:

- أن يتبين له أنه أخطأ في اجتهاده، كما حدث مع عمر بن الخطاب عندما ظهر خطأه فرجع عنه، وقال أخطأ عمر وأصابت امرأة.

- أن يبلغه دليل لم يبلغه من قبل، مثل رجوع ابن عباس عن فتواه بحل زواج المتعة عندما وصله النهي عنه، وكذلك رجوع عبد الله ابن العمر عن فتواه بحل كراء الأرض البيضاء عندما وصله النهي عنه، وكذلك فتاوى الشافعي فيما يسمى المذهب الجديد أثناء وجوده في الديار المصرية بسبب اطلاعه على أحاديث لم تصله من قبل.

- للفقيه أن يتنازل عن رأيه واجتهاده لمن يرى أنه أفقه منه.

- أن يتنازل عمليا عن رأيه لجمع كلمة المسلمين، ولا يمنعه ذلك من الدعوة لرأيه وتعليمه إن شاء.

- لخليفة المسلمين أن يتبنّى أحكاما لرعاية الشؤون برأيه واجتهاده، وإن خالفت ما تبنّاه الخليفة السابق.

كل ما سبق لا يكون تغيرا في الأحكام بتغير الزمان.

إن قاعدة تغيّر الأحكام بتغير الزمان قاعدة باطلة مردودة، وهي مدخل لتحريف الدين كما فعل يهود بدينهم.

المدير المسؤول
منصف المقدم

رئيس التحرير
حسن نوير

www.attahrir.info

المقر الاجتماعي
17 نهج باب الخضراء ـ تونس

التلفون: 71345949
الفاكس: 71345950
press@attahrir.info